المنافِقونَ

هُمُ العدوُ فاحْذَرْهمْ

تأليف

(أبو إسلام)

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمدَ لله نَحمدُهُ، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإنَّ النفاقَ آفةٌ خطيرةٌ، عظيمةُ الفتكِ بالأفرادِ والمجتمعاتِ، وإنَّ المتتبعَ للأطوارِ التي مَرَّتْ بها أمتُنا الإسلاميةُ عَبْرَ القرونِ المتطاولةِ يلحَظُ جليّاً ذلك الأثرَ التدميريَّ الذي أحدثه المنافقونَ في جسدِ الأمةِ.

---

(١) هذه المقدمة تسمّى خطبة الحاجة، وقد كان النبي ﷺ يبتدئ بها الخطب وغيرها.

لقد كانَ العربُ في جاهليتهم واضحين في ولائِهم وعدائِهم، ليسَ لهم إلا وجهٌ واحدٌ يظهرون به أمامَ الجميعِ، وهذا الوجه -على سوادِه وقتامتِه- له صفتان:

أولاهما: أنه لا يتلونُ ويتحولُ باختلافِ الظرفِ أو الحالِ أو المخاطَبِ.

ثانيهما: أنه يُعَبِّرُ بدقةٍ عمَّا بداخلِ النفسِ، فهو صورةٌ صادقةٌ لقلبِ صاحبِه.

ولهذا فقد عادى الأكثرونَ دعوةَ الإسلامِ الناشئةِ في مكةَ وحاربوها وقاوموها، لكنَّ كُلَّ ذلكَ كان يدورُ في العلن كما يدورُ في الخفاءِ، سواءٌ بسواء.

حتى إذا أذنَ اللهُ لنبيِّه ﷺ بالهجرةِ إلى المدينةِ، فعَزَّ الإسلامُ بالهجرةِ، وصارَ له أنصارٌ يدافعونَ عن رايتهِ، ويذودون عن حياضِه، ويأتمرونَ بأمر نبيِّه ﷺ، يومَ حدثَ هذا ظهرتْ هذه النبتةُ الخبيثةُ شيئاً فشيئاً، لأنَّ أصحابَها الذين شَرِقوا بهذا الدين الوافدِ الجديدِ فأكلَ الحسَدُ قلوبَهم، رأوا أنهم سيسبحون ضدَّ التيارِ إنْ همُ استعلنوا بالعداءِ الصريحِ لهذا الدين، ونبيِّ هذا الدين ﷺ.

وهذا الأمرُ سيعزِلُهم -ولا شك- عن مجتمَعِهم، ويُفقِدُهمُ القدرةَ على التأثيرِ فيه، وفوقَ كُلِّ ذلك فإن ذواتَهم وأشخاصَهم -وهذا هو أكثر ما يهمهم- لن تكونَ في مأمن إن ساروا في هذا الاتجاه.

ثم عَظُمَ الأمرُ وتنامى بعدُ غزوةِ بدرٍ الكبرى، التي أعزَّ اللهُ فيها جندَه وأولياءَه على أعظمِ قوةٍ في الجزيرةِ آنذاك، فازدادتْ هذه الظاهرةُ قوةً وانتشاراً.

ولقد كانَ منَ الطبيعيِّ -بعدَ ذلك- أن تظهرَ مكائدُ المنافقينَ ودسائسُهم واضحةً للعيان، كما حدثَ في «أُحد» حين انخنسَ رأسُهم عبدُ الله بنُ أُبيٍّ بنِ سَلولٍ بثلثِ الجيشِ -تقريباً- في وقتٍ حَرِجٍ جدّاً[1].

وكما حدثَ في غزوةِ بني المصطلق حين كادوا أن يُشعلوا الفتنةَ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ، حتى قال قائلُهم: (لئن رجعنا إلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذل)[2].

بل إنَّ الأمرَ استمر بهم حتى رَمَوْا رسولَ الله ﷺ في عِرضِه؛ حين افْتَرَوْا على أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها فزعموا -كذباً وزوراً- أنَّ صفوانَ بنَ المعطلِ وقعَ بها -عليهم مِنَ الله ما يستحقون- فقال قائلُهم: (واللهِ ما سلمَتْ منهُ ولا سلِمَ منها)[3].

وكما حدث في الخندقِ حين تآمروا مع أعداءِ هذا الدينِ، وخَذَّلوا في صفوفِ المؤمنين، حتى قال قائلُهم: (محمدٌ يعدُونا كنوزَ كسرى وقيصرَ، وأحدُنا لا يستطيعُ أن يقضيَ حاجتَه من الخوفِ)[4].

---

(١) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة (٣/ ٩٢، ٩٣). وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٢٠، ٢٢١)، وفيه أن المسلمين كانوا ألف رجلٍ فرجع الخبيث بثلاثمائة منهم.

(٢) وقائل ذلك أيضاً هو الخبيث عبد الله بن أُبي، والحديثُ **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٥)، مسلم (٢٥٨٤).

(٣) وقائل هذا أيضاً هو ابن أبي. ذكر ذلك القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٩٩) وذكر صاحب السيرة الحلبية أنه قال: (فجر بها وربّ الكعبة). وفي لفظ: (ما برئت منه وما برئ منها). وفي لفظ: (والله ما نجت منه ولا نجا منها)، وصار يقول: (امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت).انظر «السيرة الحلبية» (٢/ ٦٠٧).

(٤) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٠٩)، و«جامع البيان» (١٠/ ٢٦٨، ٢٦٩) و«الدر المنثور» (٥/ ٣٥٦).

وكما حدث بعد ذلك في غزوةِ تبوك حين تخلَّفوا عن رسولِ الله، ورغبوا بأنفسِهم عن نفسِه، وقال قائلُهم في تلكَ الغزوةِ متسهزئاً: (ما رأَينا مثلَ قرَّائنا هؤلاءِ؛ أرغبَ بطوناً، ولا أجبنَ عندَ اللقاءِ)[1].

وهكذا استمرّتْ أفعالُ المنافقينَ الشائنةِ، وتصرفاتهمُ القبيحةِ حتى بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ.

ولقد حذَّر النبيُّ ﷺ أمته من هذا الداءِ العُضالِ، وبيَّنَ مدى خطورتِه حين قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»[2].

كيف لا؟ والله عز وجل يقول: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

كما أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم امتثلوا هذا التحذيرَ؛ فَطَفِقوا يَحْذَرون، ويُحَذِّرونَ من النفاقِ والمنافقين.

وهكذا كانَ السلفُ الصالحُ أيضاً يخشَوْن النفاقَ على أنفسِهم ودينِهم، ويخشون المنافقين على مجتمعِهم وأمتِهم، قال الحسنُ البصريُّ: واللهِ ما مضى مؤمنٌ قطُّ، ولا بقي إلا هو منَ النفاقِ مشفق، ولا مضى منافقٌ قَطُّ، ولا بقي إلا هو من النفاق آمن، وكان يقول: من لم يَخَفِ النفاقَ فهو منافقٌ[3].

---

(١) رواه ابن جرير (٦/ ٤٠٩)، وأبن أبي حاتم (١٠٥٥٢) في تفسيريهما.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٢)، والبزار (٣٠٥) عن عمر بن الخطاب، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٣٧/ رقم٥٩٣)، والبزار (٣٥١٤) عن عمران بن حصين، [«صحيح الترغيب» (١٣٢، ١٣٣)].

(٣) رواه الفريابي في «صفة المنافق» (٨٧)، وعزاه الحافظ في «الفتح» (١/ ١٣٥) لأحمد بن حنبل في كتاب الإيمان.

وقال ابن أبي مُليكةَ: أدركتُ ثلاثينَ منْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، قد شهدوا بدراً؛ كلُّهم يخافُ النفاقَ على نفسِه، ولا يأمنُ المكرَ على دينِه، ما منهم من أحدٍ يقول إنه على إيمانِ جبريلَ وميكائيلَ[1].

• يخافُ الصحابةُ رضي الله عنهم على أنفسِهم النفاقَ لأنهُ يُفسدُ القلبَ، وإذا فسدَ القلبُ فسدَ الجسدُ كلُّهُ، فالنفاقُ لهُ علاقةٌ بمرضِ القلب.

لا خلافَ بينَ أهلِ العلمِ على أنَّ النفاقَ يُعدُّ أحدَ الأمراضِ الخطيرةِ التي تصيبُ القلوبَ فَتُمْرِضُها وتُضْعِفُها -على أحسنِ الأحوالِ- ثم لا يلبثُ الداءُ أن يعمّ ويغلبَ على القلب فيقضي عليه قضاءً مُبرماً.

ويمكنُ أن نُقَسِّمَ الأدواءَ التي تعرضُ للقلوبِ إلى قسمين رئيسين:

١- أدواءٌ مبعثُها الشبهاتُ التي تعرضُ للقلبِ، فيتشَرَّبُها شيئاً فشيئاً حتى تغلبَ عليه، فيقوى الشكُّ في ذلك القلبِ ويَضْعُفُ الإيمانُ بسببِ هذه الشبهة. ومن ذلك قولُ الصادقِ المصدوق في حديث حذيفة: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّياً؛ لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»[2].

---

(١) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه -كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (١/ ١٣٥) فتح الباري، ورواه البخاري في تاريخه (٥/ ١٣٧)، والخلال في السنة (١٠٦٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٤).

=

٢- أدواءٌ مبعثُها الشهوات التي تُشْعِلُ لهيبَها في القلبِ فتمرضُه وتأسِرُه؛ كما هو حالُ الكثيرِ ممن فَتَنَتْهمُ الشهواتُ بأنواعِها حتى أصبحوا عبيداً لها، لا يستطيعون مِنْ أسرِها فكاكاً، ولا مِنْ سجنها تخلّصاً.

والسؤالُ الذي يطرحُ نفسَه الآن هو:

أيُّ مِنْ هذين الداءَيْنِ يُصيبُ قلوبَ المنافقين؟ هل هو داءُ الشبهاتِ أم داءُ الشهواتِ؟ وما مدى صلةِ النفاقِ بمرض القلبِ؟

هذا ما سأحاول الإجابةَ عنه في هذه المسألة. والله المستعان.

صلةُ النفاقِ بمرضِ القلب:

يبدو لي أن حجرَ الزاويةِ في هذا المبحثِ يتلخصُ في أنَّ النفاقَ يُعدّ نوعاً خطيراً من أنواعِ مرضِ القلبِ. بلِ لعله أخطرُ أمراضِ القلوبِ على الإطلاقِ؛ ذلكَ لأنّ قلبَ المنافقِ يُصبحُ كالبيتِ الخَرِبِ ظلمةً ووحْشَةً وهو مع محاولتِه تزيينَ ظاهرِهَ بمظاهرِ الخيرِ والصلاحِ إلّا أنه يعلمُ في قرارةِ نفسِه مدى سوءِ الطويَّةِ التي انعقدَ عليها قلبُه. وحسبُكَ بذلكَ مرضاً يفتكُ بصاحبِهِ بعلمِه دونَ أن يتيحَ له فرصةً حقيقيةً للمقاومة.

=وقوله: أُشربها: أُشرب القلب هذا الأمر: إذا دخل فيه وقبله وسكن إليه، كأنه قد شربه.

نكت فيه نكتة سوداء: أي أثر فهي أثر أسود، وهو دليل السخط ولذلك قال في حالة الرضى: نكت فيه نكتة بيضاء.

مربادّاً: المربادُّ والمُرْبَدُّ: الذي في لونه ربدة وهي بين السواد والغُبرة.

الكوز مُجَخِياً: المُجَخِّي: المائل عن الاستقامة والاعتدال.

وقد عرفَ الصحابةُ رضوانُ الله عليهم هذه الصلةَ الوطيدةَ بينَ النفاقِ وبين مرضِ القلبِ، وأنه لا يوجدُ إلا معَ قلبٍ خَربٍ منكوسٍ؛ وذلك يتبينُ من تقسيمِهم لأنواعِ القلوبِ؛ فصحّ عن حذيفةَ ﷺ أنه قال: (القلوبُ أربعةٌ: قَلبٌ أجردُ فيه سراجٌ يُزهرُ، فذلك قلبُ المؤمنِ، وقلبٌ أغلفُ فذلك قلبُ الكافرِ، وقلبٌ منكوسٌ، فذلك قلبُ المنافقِ، عرفَ ثم أنكرَ، ثم عمي، وقلبٌ تَمُدُّه مادتان: مادةُ إيمانٍ، ومادةُ نفاقٍ، وهو لما غَلَبَ عليه منهما)[1].

قال ابنُ القيمِ: (وأشارَ بالقلبِ المنكوس -وهو المكبوبُ- إلى قلبِ المنافقِ، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [النساء:٨٨]. أي نَكَسهم وردّهم في الباطلِ الذي كانوا فيه بسببِ كسبِهم وأعمالِهمُ الباطلةِ؛ وهذا شرُّ القلوبِ وأخبثُها، فإنه يعتقدُ الباطلَ حقّاً والحقَّ باطلاً ويعادي أَهلَه. فاللهُ المستعانُ)[2].

ومما يدلُّ أيضاً على صلةِ النفاقِ بمرضِ القلبِ ما ذكره شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ قال: (وروى عبدُ الله بنُ المباركِ عن عوفِ بن أبي جميلةَ، عن عبدِ الله بن عمرو بنِ هندٍ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ قال: إنَّ الإيمانَ يبدو لمظةً[3] بيضاءَ في القلبِ،

(١) رواه أحمد (٣/ ١٧)، والطبراني في «الصغير» (١٠٧٥) عن أبي سعيد الخدري، وابن أبي شيبة (٣٨٥٥٠) عن حذيفة

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٥، ١٦).

(٣) لمظة: اللُّمظةُ بياض في جحفلةِ الفرس السفلى، والمراد هنا: نكتة بيضاء. انظر «القاموس المحيط» (ص٩٠٢).

فكلما ازدادَ العبدُ إيماناً ازدادَ القلبُ بياضاً، حتى إذا استكمل الإيمانَ ابيضَّ القلبُ كُلُّه، وإنَّ النفاقَ يبدو لمظةً سوداءَ في القلبِ؛ فكلما ازدادَ العبدُ نفاقاً ازدادَ القلبُ سواداً، حتى إذا استكملَ العبدُ النفاقَ اسودَّ القلبُ، وَايمُ اللهِ، لو شققتم عن قلبِ المؤمنِ لوجدتموه أبيضَ، ولو شققتم عن قلبِ المنافقِ لوجدتموه أسودَ)[1].

وهذا مِنْ أجمَعِ النصوصِ التي حددتِ الصلةَ الوثيقةَ بين النفاقِ ومرضِ القلبِ، وبين الإيمانِ وصحةِ القلبِ، فالقلبُ يزدادُ سواداً وإظلاماً كلما ازدادَ النفاقُ وتَحَكَّمَ، ويزدادُ بياضاً وإشراقاً كلما ازدادَ الإيمانُ وتمكن، فالنفاقُ هو مرضٌ قلبيٌّ قبلَ كُلِّ شيءٍ، وإذا فسدَ القلبُ فسدتِ الجوارحُ كما جاءَ في الحديثِ: « **أَلاَ وَإِنَّ فِى الْـجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[2].

ولعلَّ مما يؤكدُ صلةَ النفاقِ بمرضِ القلبِ، ما ساقه الإمامُ ابن القيمِ رحمه الله حين عقدَ مفارقةً بينَ خشوعِ الإيمانِ وخشوعِ النفاقِ، حيثُ يقولُ: (والفرقُ بينَ خشوعِ الإيمانِ وخشوعِ النفاقِ أنَّ خشوعَ الإيمانِ هو خشوعُ القلبِ للهِ بالتعظيمِ والإجلالِ والوقارِ والمهابةِ والحياءِ؛ فينكسرُ القلبُ للهِ كسرةً ملتئمةً من الوَجَلِ والخجَلِ والحبِّ والحياءِ وشهودِ نعمِ اللهِ وجناياتِه هوَ فيخشَعُ القلبُ لا محالةَ فيتبعُه خشوعُ الجوارحِ.

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٧/ ٣٠٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

وأما خشوعُ النفاقِ: فيبدو على الجوارحِ تصنعاً وتكلفاً والقلبُ غيرُ خاشعٍ، وكان بعضُ الصحابةِ يقولُ: أعوذُ باللهِ منْ خشوعِ النفاقِ. قيل: وما خشوعُ النفاقِ؟ قال: أن يُرى الجسدُ خاشعاً والقلبُ غيرَ خاشع؛ فالخاشعُ للهِ عَبْدٌ قد خَمَدَتْ نيرانُ شهوتِه، وسكَنَ دخانُها عن صدرِه، فانجلى الصدرُ وأشرقَ فيه نورُ العظمةِ، فماتت شهواتُ النفسِ للخوفِ والوقارِ الذي حُشيَ به، وخمدتِ الجوارحُ وتَوقَّرَ القلبُ واطمأنَّ إلى الله وَذَكَّره بالسكينةِ التي نزلت عليه من رَبِّه، فصارَ مُخبتاً له. والمُخبتُ: المطمئنُّ، فإنَّ الخبتَ من الأرضِ ما اطمأنَّ فاستنقعَ فيه الماءُ، فكذلك القلبُ المخبتُ قد خشعَ واطمأنَّ، كالبعقةِ المطمئنةِ من الأرضِ التي يجري إليها الماءُ فيستقرُّ فيها؛ وعلامتُه أن يسجُدَ بين يدي ربِّه -إجلالاً له وذلَّاً وانكساراً بين يديه- سجدةً لا يرفعُ رأسَه عنها حتى يلقاه، [فهذا خشوعُ الإيمان][1].

وأما القلبُ المتكبرُ: فإنه قد اهتزَّ بتكبرِه وَرَبَا فهو كبقعةٍ رابيةٍ منَ الأرضِ لا يستقرُّ عليها الماءُ.

وأما التماوتُ وخشوعُ النفاقِ: فهو حالٌ عند تكلفِ إسكانِ الجوارحِ تصنعاً ومراءاةً، ونفسُه في الباطنِ شابَّةٌ طريةٌ ذاتُ شهواتٍ وإراداتٍ؛ فهو يتخشعُ في الظاهرِ، وحيةُ الوادي وأسدُ الغابةِ رابضٌ بين جنبيه ينتظرُ الفريسةَ)[2].

---

(١) ما بين [ ] كان محلها مختلف في المطبوع ووضعها هو الأنسب.

(٢) «الروح» (ص٢٢٣).

ومما يدلُّ أيضاً على صلةِ النفاقِ بمرضِ القلبِ ما قاله ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (الغِناءُ ينبتُ النفاقَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ الكلأَ)[1].

أما المواضع التي وصفَ الله فيها المنافقينَ بمرضِ القلبِ: فتفصيلُها بِحَسَبِ ترتيبها في المصحف كما يلي:

المواضع:

الموضع الأول: قال تعالى عنهم: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة].

الموضع الثاني: قال تعالى عنهم: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال].

الموضع الرابع: قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

---

(١) **صحيح**: رواه الخلال «السنة» (١٦٦٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٠)، وابن أبي الدنيا في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٠)، و البيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٢٣)، [«تحريم الآت الطرب» (١٦٦٦)].

والريبُ هنا هو الشكُّ كما قالَ الشاعرُ عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى:

لـيس في الحـقِّ يـا أميمـةَ ريـبٌ   إنـما الريـبُ مـا يقـولُ الجهـولُ

ولا شكَّ أنَّ الريبَ والترددَ يُعَدُّ مرضاً من أمراضِ القلوبِ، يُصابُ به أهلُ النفاقِ كما أخبر سبحانه.

الموضعُ الخامس: قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة].

فأخبرَ سبحانه أن داءَ النفاقِ أصابَ قلوبَ أولئكَ القومِ فمرضوا به.

الموضعُ السادس: قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [التوبة:١٢٧].

فالانصرافُ مرضٌ يُصيبُ القلبَ فيصرفُه عن قبولِ الحق والانقيادِ إليه معَ وضوحِه وقوةِ حجته.

الموضعُ السابع: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحزاب].

الموضع الثامن: قال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

الموضعُ التاسعُ: قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [محمد].

الموضعُ العاشرُ: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون].

وحين نتتبعُ عباراتِ المفسِّرينَ في المواضعِ السابقةِ الذكرِ نجدُ أنها تتفقُ على استنتاجٍ هامٍّ للغايةِ في موضوعِ مبحثِنا هذا، هذا الاستنتاجُ يتلخصُ في أنَّ مرضَ القلبِ الذي أُصيبَ به المنافقونَ هو مرضُ الشكِّ والحيرةِ.

قال الإمامُ الطبريُّ عند تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠].

(والمرضُ الذي ذكرَ اللهُ جلّ ثناؤُه أنه في اعتقادِ قلوبِهم الذي وصفناه هو شكُّهم في أمرِ محمدٍ وما جاءَ به من عندِ الله وتَحَيُّرُهم فيه، فلا هم به موقنونَ إيقانَ إيمانٍ، ولا هم له منكرونَ إنكارَ شركٍ، ولكنهم كما وصفهم الله عزّ وجلّ مذبذبونَ بين ذلك؛ لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ، كما يُقال: فلان تمرَّضَ في هذا الأمرِ؛ أي: يضعفُ العزمُ ولا يُصَحِّحُ الرويةَ فيه. ويمثلِ الذي قلنا في تأويلِ ذلك تَظاهَرَ القولُ في تفسيرِه من المفسرين)[1].

(١) «جامع البيان» (١/ ١٥٤).

ثم ساقَ رحمهُ اللهُ نقولاً بسندِه عن ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ وناسٍ من أصحابِ النبي ﷺ، وقتادةَ، والربيعِ بن أنس، وعبدِ الرحمن بنِ زيدٍ تتفقُ كلُّها على أنَّ المرضَ المذكورَ في الآيةِ هو الشك.

ويتفقُ ابن عطيّةَ مع هذا التأويلِ إلا أنه يُضيفُ إليه معنى أخرَ هو الجحودُ فيقول: (المرضُ عبارةٌ مستعارةٌ للفسادِ الذي في عقائدِ المنافقينَ؛ وذلك إما أن يكونَ شكّاً، وإمّا جحداً بسبب حسدِهم مع علمهم بصحةِ ما يجحدون. وبنحوِ هذا فسّر المتأولون)[1].

وبنحو ذلك قال القرطبيُّ عند تفسيرِه لهذه الآيةِ: (المرضُ عبارةٌ مستعارةٌ للفسادِ الذي في عقائدِهم؛ وذلك إما أن يكون شكّاً ونفاقاً أو يكونَ جحداً وتكذيباً. والمعنى: قلوبُهم مرضى لخُلُوِّها عنِ العصمةِ والتوفيقِ والرعايةِ والتأييدِ)[2].

وقال ابنُ الجوزيِّ في معنى المرضِ: (المرضُ هاهنا الشكُّ. قاله عكرمة وقتادة)[3].

وهكذا فإننا نلحظُ اتفاقَ معظمِ المفسرينَ على أنَّ المرضَ المذكورَ في الآيةِ هو الشكُّ والترددُ بين التصديقِ والتكذيبِ. وبالتالي فيمكنُ إرجاعُ مصدرِ هذا المرضِ إلى داءِ الشبهاتِ المذكورِ آنفاً، فإنَّ شَكَّ الإنسانِ في شيء إنما ينشأُ لشبهةٍ

(١) «المحرر الوجيز» ابن عطية (١/ ١١٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٩٧).

(٣) «زاد المسير» (١/ ٣١).

قامت بنفسِه منعته من التصديقِ التامِّ، ولكنها لم تبلغْ منَ القوةِ حدّاً يصلُ بصاحبِها إلى التكذيبِ التام. ولكنْ هلِ الشبهةُ هي الباعثُ الوحيدُ على حدوثِ مرضِ القلبِ المؤدي إلى النفاق؟

والجوابُ على ذلكَ: أنَّ الشبهةَ وإنْ كانتْ هي السببَ الأكثرَ شيوعاً، إلّا أنَّ الشهوةَ هي الأخرى قد تؤدي بصاحبها إلى النفاقِ بعد أن تتمكنَ من قلبِهِ فَتُمرِضُه وتأسِرُه.

لقدْ أَوْدَتْ شهوةُ حُبِّ المالِ والضَّنَّةِ به بأقوامٍ إلى النفاق كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة].

والآياتُ صريحةٌ في أنَّ اللهَ أعقبهم نفاقاً في قلوبِهم بسبب إخلافِهم لما وعدوا اللهَ وعاهدوه عليه من التصدقِ والإنفاقِ إن آتاهمُ المالَ، ولكنَّ البخلَ وشهوةَ جمعِ المالِ دفعتهم إلى النفاقِ بعدَ أن مَرِضَتْ قلوبُهم بهذه الشهوة.

ويُشْبِهُ ذلكَ قولَه سُبحانه عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة]. فإنَّ الذي حملهم على اللمزِ والطعنِ على النبيِّ ﷺ هو شهوةُ المالِ والغضبُ لأنفسِهم، ولذا قال ابنُ جريرٍ عند تفسيرِه هذهِ الآية: (ليسَ بهم في عيبِهِم إيّاكَ فيها، وطعنِهم عليكَ

بسببِها الدينُ، ولكنِ الغضبُ لأنفسِهم، فإن أنتَ أعطيتَهم منها ما يُرضيهم رَضُوا عنك، وإن أنتَ لم تعطِهم منها سَخِطوا عليكَ وعابوك، وبنحوِ ما قلنا في ذلك قالَ أهلُ التأويل)[1].

ولقد أدّت شهوةُ الزنا والميلِ إلى النساءِ بأناسٍ إلى النفاقِ بعد أن استعَرَ لهيبُ الشهوةِ في قلوبهم، قال الإمامُ الطبريُّ: (حدثني يونسُ قالَ: أخبرنا ابنُ وهبٍ قال: قال ابنُ زيدٍ في قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب:٦٠]. الآية. قال: هؤلاء صنفٌ من المنافقينَ ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال:٤٩] أصحاب الزنى، قال: أهل الزنى في أهلِ النفاق الذين يطلبونَ النساءَ فيبتغونَ الزنى، وقرأ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].قال: والمنافقونَ أصنافٌ عشرةٌ في براءة قال: فالذين في قلوبهم مرضٌ صنفٌ منهم. مَرِض من أمرِ النساء)[2].

بل إنَّ كبيرَ المنافقين ورأسَهم عبدَالله بنَ أُبيٍّ بنَ سلولٍ إنّما حملَه على النفاقِ في مبدأ الأمرِ تمكُّنُ شهوةِ حبِّ الرياسةِ والزعامةِ في قلبه، بعد أن كانَ قابَ قوسين أو أدنى منها؟ فإذا به يُفاجَأ بقدومِ النبيِّ ﷺ، إلى المدينةِ سيّداً لها وحاكماً لمن فيها؛ فلمّا رأى الأمرَ كذلك لم يستطعْ إعلانَ الكفرِ والمنابذةَ لأنه سيُصبحُ بلا أعوانٍ يساندونه، ولم

(١) «جامع البيان» (٦/ ٣٩٣).

(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٣٣٣).

يستطعْ قبولَ الحقِّ والانقيادَ له وهو يرى بقلبه المريضِ رياستَه تزولُ وملكَه يُهَدُّ، ولمّا يستوِ على سوقِه، فاتخذَ الإيمانَ ستاراً وشعاراً، وأَبطنَ الكفرَ في داخله(1).

وكان لمرضِ قلبِه- لا يقبلُ منَ النبيِّ ﷺ، أيَّ توجيهٍ أو نصحٍ، يدلُّ على ذلكَ ما رواه أسامةُ بن زيدٍ رضي الله عنه قال: ركبَ النبيُّ ﷺ حماراً عليه إكافٌ(2)، تحته قطيفةٌ فدّكيّة(3)، وأردفَ وراءه أسامةَ، وهو يعودُ سعدَ بنَ عبادةَ في بني الحارثِ بن الخزرج، وذاك قبلَ وقعةِ بدرٍ، حتى مرَّ بمجلسٍ فيه منَ المسلمينَ والمشركينَ عبدةِ الأوثان، واليهودِ. فيهم عبدُ الله بن أُبي، وفي المجلسِ عبدُ الله بنُ رواحةَ، فلما غشيتِ المجلسَ عجاجةُ الدابة(4)، خَمَّر عبد الله بن أُبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبّروا علينا، فسلّم عليهم النبيُّ ﷺ، ثم وقفَ فنزلَ، فدعاهم إلى الله وقرأَ عليهم القرآنَ، فقال عبدُ الله بن أُبي: أيها المرءُ، لا أحسنَ مِنْ هذا، إن كانَ ما تقولُ حقّاً فلا تُؤْذنا في مجالسنا، وارجِعْ إلى رحلِك، فمن جاءك منا فاقصصْ عليه، فقالَ عبدُالله بنُ رواحةَ: اغشَنا في مجالسِنا فإنا نحبُّ ذلك. قال: فاستبَّ المسلمونَ والمشركونَ واليهودُ، حتى همّوا أن يتواثبوا، فلم يزلِ النبيُّ ﷺ، يُخَفِّضهم، ثم

---

(1) انظر ترجمة عبد الله بن أُبي في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٩٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢/ ٩٠)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٦٠٦)، وقد روى الخبر من طريق ابن إسحاق، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٥٣) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

(2) الإكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس.

(3) قطيفة فدكية: القطيفة: دثار مخمل، جمعها: قطائف، وقطف. وفدكيَّة: منسوبة إلى فدك، بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة.

(4) عجاجة الدابة: ما ارتفع من غبارها.

ركبَ دابَته حتى دخلَ على سعدِ بنِ عبادَة فقال: «**أي سعدُ! ألم تسمعْ ما قال أبو حُباب؟** -يريد عبدَ الله بنَ أُبي- **قال: كذا وكذا**». قال: اعفُ عنه يا رسولَ الله واصفَحْ. فوالله لقد أعطاكَ اللهَ الذي أعطاكَ، ولقد اصطَلح أهلُ هذه البُحيرةِ[1] أن يُتَوِّجوه، فيُعَصِّبوه بالعِصابة[2]، فلمّا ردَّ اللهُ ذلك بالحقِّ الذي أعطاكه شَرِقَ بذلك[3]، فذلك فعلَ به ما رأيت، فعفا عنه النبيُّ ﷺ)[4].

وقد بَيَّنَتْ روايةُ البخاريِّ رحمه الله أنَّ ابنَ أُبيٍّ أظهرَ الإسلامَ لما نصرَ اللهُ رسولَه ﷺ، يومَ بدرٍ، فأظهرَ الإسلامَ نفاقاً وأبطنَ الكفرَ حقيقة.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: (فإنَّ ابنَ أُبيٍّ كانَ مُظهراً لطاعةِ النبيِّ ﷺ، والإيمانِ به، وكان كُلَّ يومِ جمعةٍ يقومُ خطيباً في المسجدِ يأمرُ باتباعِ النبيِّ ﷺ، ولم يكنْ ما في قلبهِ يَظْهَرُ إلا لقليلٍ منَ الناسِ إنْ ظهر، وكان مُعَظَّماً في قومِه، كانوا قد عزموا أن يُتوجوه ويجعلوه مِثْلَ الملكِ عليهم، فلما جاءتِ النبوةُ بطلَ ذلك، فحمله الحسدُ على النفاقِ، وإلا فلم يكن له قبلَ ذلك دينٌ يدعو إليه، وإنما كان هذا في

(١) البُحيْرة: بضم الباء على التصغير. قال القاضي: وروينا في غير مسلم: البَحيرة، مكبرة، وكلاهما بمعنى، وأصلها القرية، والمراد بها: مدينة النبي ﷺ.

(٢) فيعصبوه بالعصابة: معناه اتفقوا أن يعينوه ملكهم، وكان من عادتهم إذا ملكوا إنساناً أن يتوجوه ويعصبوه.

(٣) شرق بذلك: أي غصّ. ومعناه: حسد النبي ﷺ ولبيان شرح الحديث واستخراج معاني كلماته انظر «فتح الباري» (٨/ ٧٨-٨٠)، و«مسلم بشرح النووي» (١٢/ ١٥٨، ١٥٩).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٦٦)، (٥٦٦٣)، (٦٢٠٧)، ومسلم (١٧٩٨).

اليهودِ، فلما جاء النبيُّ ﷺ، بدينه وقد أظهرَ اللهُ حُسْنَهُ ونُورَهُ مالت إليه القلوبُ لا سيما لِما نصرَه اللهُ يومَ بدر)[1].

والحاصلُ إذن أنَّ النفاقَ وثيقُ الصلةِ بمرضِ القلبِ؛ فلا نفاقَ إلا لقلبٍ مريضٍ قد تمكن المرضُ منه، كما أنه يمكنُ أن يكونَ مبعثُ هذا المرض المؤدي للنفاقِ شبهةٌ تعرِضُ للعقلِ، أو شهوةٌ منَ النفسِ، فَتُضْعِفُ إرادةَ صاحبِها حتى تتمكنَ منه، فَيَعْقُبَه اللهُ نفاقاً في قلبِه.

ونظراً لشدّة التصاقِ النفاقِ بمرضِ القلبِ فلقد اكتفى النصُّ القرآنيُّ الكريمُ في غيرِ ما موضعٍ بالإشارةِ إلى الذين في قلوبهم مرضٌ عند الحديثِ عن المنافقينَ وأفعالهم؛ فكأنَّ مرضَ القلبِ في هذه الحالةِ أصبحَ مرادفاً للنفاقِ، فاسْتُعيضَ عن أحدِهما بالآخر.

مثالُ ذلك قولُه تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۭ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍۢ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة].

يتفقُ المفسّرونَ على أنَّ المنافقينَ همُ المقصودون بهذه الآيةِ، على أنَّ بعضَهم يوكدُ أنَّ عبدَ الله بنَ أُبيٍّ بنِ سلولٍ زعيمَ المنافقين هو المقصودُ حيثُ قالَ هذا القولَ المذكورَ في الآية، ويُعمِّم بعضُهم المعنى بحيث يجعلُه شاملاً للمنافقين جميعاً.

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٨٠).

والخلاصةُ: أنَّ العبرةُ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السببِ، فحتى وإنْ كانَ السببُ المباشرِ لنزولِ الآيةِ كلامَ ابنِ أُبيٍّ فإنَّ حكمَها يعمُّ، ودلالتَها تشملُ كُلَّ مَنِ اتصفوا بصفاته كما هو مقرر في علم الأصول.

وبالتالي يكونُ أهلُ النفاقِ فقط همُ المقصودونَ بهذه الآية، الموصوفونَ فيها بمرضِ القلبِ، يؤيدُ ذلكَ ترجيحُ إمامِ المفسرينَ في المعنيّ بهذهِ الآيةِ بعدَ أنْ ساقَ الخلافَ بينَ أهلِ التأويلِ في ذلك، وقولُ بعضِهم: عُني بها عبدُ الله بنُ أُبيٍّ بنِ سلول. وقولُ البعضِ الآخرِ: عُني بها قومٌ منَ المنافقين كانوا يُناصحونَ اليهودَ، ويغشُّون المؤمنين، ويقولون: نخشى أن تكونَ دائرةٌ لليهودِ على المؤمنينَ حيثُ قال: (والصوابُ منَ القولِ في ذلك عندنا أن يُقال: إنَّ ذلكَ منَ الله خبرٌ عن ناسٍ من المنافقينَ كانوا يوالون اليهودَ والنصارى، ويغشّون المؤمنينَ ويقولون: نخشى أن تدورَ دوائرُ؛ إما لليهودِ والنصارى، وإما لأهلِ الشركِ من عَبدةِ الأوثان أو غيرِهم على أهلِ الإسلام. أو تنزلُ بهؤلاءِ المنافقين نازلةٌ فيكونُ بنا إليهم حاجةٌ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك كلُّه من قولِ عبدِ الله بن أُبيّ، ويجوزُ أن يكونَ من قولِ غيرِه، غير أنه لا شكّ أنه من قولِ المنافقين)[1].

وهكذا فإننا الآن نصلُ إلى قناعةٍ تامّة بشدةِ الارتباطِ الوثيقِ بينَ النفاقِ ومرضِ القلبِ عقلاً وشرعاً، فلا نفاقَ إلا لقلبٍ مريضٍ في أساسِه، أما القلبُ السالمُ من مرضِ الشبهةِ والشهوةِ فإنه مُحَصَّنٌ بإذنِ الله منْ هذا الداءِ العُضال.

---

(١) «جامع البيان» (٤/ ٦١٩).

ومن نتائجِ مرضِ القلبِ عندَ المنافقِ أن تنتكسَ فطرتُه فلا يرى المعروفَ معروفاً يُسَرُّ به ويرجو ثوابَه ويحزنُ على فواتِه، ولا يرى المنكرَ منكراً يخافُ عقوبَته ويستاءُ لفعلِه، أخرج أبو نعيم الأصبهانيُّ عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أنه لما رحلَ إلى الشامِ حَمِدَ الله وأثنى عليه، وقامَ خطيباً وقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قام فينا خطيباً كمقامي منكم فقال: «**أَمَارَةُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا تَسُوءُهُ سَيِّئَتُهُ، وَلَا تَسُرُّهُ حَسَنَتُهُ؛ إِنْ عَمِلَ خَيْراً لَمْ يَرْجُ مِنَ اللهِ فِي ذَلِكَ ثَوَابًا، وَإِنْ عَمِلَ شَرًّا لَمْ يَخَفْ مِنَ اللهِ فِي ذَلِكَ الشَّرِّ عُقُوبَةً**»[1].

وقبل أن أختمَ هذا المبحثَ أحبُّ أن أشيرَ إلى نقطةٍأحْسَبُها جديرةً بالعنايةِ والاهتمامِ، وهي أن النفاقَ المبنيَّ على الشكِّ والريبةِ، أو التكذيبِ والجحودِ وعدمِ الإيمانِ والتصديقِ التام لموعودِ الله ورسولِه هو أخطرُ أحوالِ النفاقِ وحالاتِه؛ إذ أن معناه الكفرَ الصُّراحَ الذي لا لبسَ فيه ولا غموض. ومبعثُ ذلك كما أسلفنا هو الشبهةُ التي عرضَتْ للعقلِ فَعَطَّلَتْ تفكيرَه السليمَ في الأمر[2]. أمّا النفاقُ المبنيُّ على الشهوةِ والرغبةِ في التمتع بملذاتِ الدنيا وزخارفِها فإنه وإن كانَ خطيراً في نتائجه التي قد تحلّ بصاحبه؛ بسبب تماديه في طريقِ الشهواتِ، واستمرارِ المرضِ الساري في قلبه، إلا أنه أخفُّ خطراً، وأقلُّ أثراً من سابقه، ويمكنُ معالجتُه على المدى ما لم يصل بقلب صاحِبه إلى الموتِ الذي لا حياةَ بعده[3].

---

(١)رواه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٧٤).

(٢) وقد أشار ابن العربي إلى خطورة النفاق المرتبط بالقلب فقال: (النفاق في القلب هو الكفر، وإذا كان في الأعْمالِ فهو معصية)، «أحكام القرآن» (٢/ ٩٨٣).

(٣) انظر كتاب «النفاق وأثره في حياة الأمة» بتصرف يسير.

ولخطورةِ النفاقِ والمنافقينَ على الفردِ والأسرةِ والمجتمع والأمةِ الإسلاميةِ، فقد وصفَ اللهُ المنافقينَ وفضحهم في أولِ سورةِ البقرة، وفي سورةِ آل عمرانَ، وفي سورةِ النساءِ، وفي سورةِ التوبةِ، وأنزل سورةً باسمهم هي (سورة المنافقون) يقول فيها: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

وكادَ القرآن كلُّهُ أن ينزلَ في فضحِ النفاقِ والمنافقين لخطورتهم وانطلاقاً من قولِه ﷺ: «**الدينُ النصيحة**»[1] فهذه مجموعةٌ من خُطَبِ الجمعةِ ألقيتُها في مسجدِ إبراهيمَ الحاجْ حسن في فضحِ النفاقِ والمنافقينَ أُقَدِّمُها للمسلمين سائلاً المولى في علاه أن ينفَعَ بها مسموعةً ومقروءَةً إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

وكتبه

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم

الحاج حسن

الأردن – عمان

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

الفصلُ الأول

تبشيرُهُ ﷺ للمنافقين بالنارِ والعذابِ المقيم

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء].

موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجانُ من قَصصِ القرآن... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ**، والتي نَتكلَّمُ فيها عن قصَّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النارِ التي ستعرفُ عليها من دراستنا للسيرةِ النبويةِ العطرةِ ألا وهي: **تبشيرُهُ ﷺ للمنافقين بالنارِ والعذابِ المقيم**

• **النِفاقُ لغةً**: الدخولُ في الإسلامِ من وَجْهٍ، والخروجُ منه من وجهٍ آخر. قال ابنُ رجبٍ رحمهُ اللهُ: والذي فسَّرَهُ به أهلُ العلمِ المُعتَبَرُونَ أنَّ النِّفاقَ في اللّغةِ هو من جنسِ الخداعِ والمكرِ، وإظهارِ الخيرِ وإبطانِ خلافه [1].

• **والنِفاقُ اصطلاحاً**: هو إظهارُ الإيمانِ باللسانِ وكتمانُ الكفرِ بالقلبِ [2].

• والنفاقُ ينقسمُ شَرْعاً إلى قسمين:

أحدهما: النفاقُ الأكبرُ، وهو النفاقُ القلبيُّ العَقائديُّ، وهو أن يُظهرَ الإنسانُ الإيمانَ، ويُبْطِنَ الكفرَ وهذا النفاقُ يُوجبُ لصاحبِهِ الخلودَ في النار، بل هو في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار.

والثاني: النفاقُ الأصغرُ، وهو نفاقُ العملِ، وهو أنْ يُظهرَ الإنسانُ علانيةً ويبطنُ ما يخالِفُ ذلك. وهذا النفاقُ كبيرةٌ من الكبائر، ولكنْ لا يُوجبُ الخلودَ لصاحبه في النار [3].

---

(١) ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٧٥).

(٢) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٦٠٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص٣٧٥) بتصرف.

• وكلامُنا سيكونُ فقط عن القسمِ الأولِ وهو النفاقُ الأكبرُ، النفاقُ القلبيُّ العقائديُّ، الذي يوجبُ لصاحبه الخلودَ في النار، وذلكَ لخطورةِ هذا النفاقِ على الإسلامِ والمسلمينَ.

• فهذا المنافقُ أخطرُ على الأمةِ الإسلاميةِ منَ الكفارِ والمشركين واليهودِ والنصارى، ولذلكَ فاللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابه فضَحَ هؤلاءِ المنافقينَ، وكشفَ أسرارَهم، ووصفَهم ظاهراً وباطناً لعبادِهِ المؤمنينَ ليكونوا منهم على حذرٍ.

ففي أولِ سورةِ البقرةِ قسَّمَ اللهُ الناسَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: المؤمنونَ الخُلَّص

وهمُ الذين آمنوا باطناً وظاهراً، ذكرهم اللهُ ووصفهم في أربعِ آياتٍ، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

القسم الثاني: الكافرون الخُلَّص

وهمُ الذين كفروا باطناً وظاهراً، ذكرهم الله -عزَّ وجلَّ- ووصفهم في آيتين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾﴾ [البقرة].

القسم الثالث: المنافقون ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٣].

وإنما هم مؤمنونَ ظاهراً، وكافرونَ باطناً، فليسوا من الفريقين كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة:١٤].

ولخطرِهم على الإسلامِ والمسلمينَ فقد ذكرَهُمُ اللهُ ووَصَفَهم في ثلاثَ عَشْرة آية فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة].

ولخطرهم ذكرَهُمُ اللهُ وحَذَّرَ منهم في سورةِ آلِ عمرانَ وفي سورة النساءِ وفضحهم وكشفَ أسرارَهم في سورةِ التوبةِ ولذلك سُمِّيَتْ بالفاضحةِ، وأنزلَ سورةً كاملةً في وصفهم، وهي (سورةُ المنافقون)، حتى كادَ القرآنُ كُلُّهُ أنْ ينزلَ في وصفِهم والتحذيرِ منهم.

• فمن الذين حَزَّبوا الأحزابَ وأرادوا أن يضربوا المسلمينَ من الداخل ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر]؟.. إنهم المنافقون.

• ومَنِ الذينَ قالوا في غزوةِ الأحزاب: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب]؟.. إنهم المنافقون.

• وَمَنِ الذين قالوا في غزوةِ بني المصْطَلِق: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون]؟... إنهم المنافقون.

- وَمَنِ الذين جاءوا بالإفكِ وتكلَّموا في أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها حِبِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الطاهرةِ المطَهَّرة التي برأها اللهُ من فوقِ سبعِ سمواتٍ؟.. إنهمُ المنافقونَ وعلى رأسِهم زعيمُهم عبدُالله بنُ أُبيِّ بنِ سلولٍ.

- وَمَنِ الذين قيلَ لهم في غزوةِ أحدٍ: ﴿تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران]... إنهم المنافقون.

- وَمَنِ الذينَ استهزءوا باللهِ وآياته ورسولِه وقالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة]؟.. إنهم المنافقون.

- ومَنِ الذينَ اتخذوا مسجداً ضراراً ليحاربوا الإسلامَ والمسلمينَ من خلاله، ويحلفونَ باللهِ كذباً وبهتاناً إنْ أردنا إلا الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة]؟.. إنهم المنافقون.

وَمَنِ الذينَ كانوا يَلْمزونَ المطَّوِّعينَ منَ المؤمنينَ في الصدقاتِ؟ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة]؟... إنهم المنافقون.

• ومَنِ الذينَ لم يخرجوا مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوكَ وقالوا: لا تنفروا في الحرِّ كما قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة]؟... إنهم المنافقون.

ها هُم المنافقونَ الذين أبطنوا الكفرَ، وأظهروا الإسلامَ، خطرٌ على الإسلامِ والمسلمينَ، شرٌّ على الإسلامِ والمسلمينَ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ ولذلكَ أعدَّ اللهُ لهمْ عذاباً أليماً في الدنيا والآخرةِ.

أما عذابُهم في الدنيا:

أولاً: أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يجاهدَهُم كأمرِهِ بمجاهدةِ الكافرين في موضعين في كتابه

• في سورةِ التوبةِ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٣-٧٤].

• وفي سورة التحريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم].

وجهادُ الكفارِ يا عبادَ اللهِ! يكونُ بالسيفِ والسنانِ، وجهادُ المنافقين يكون

بالحجة والبرهان. والجهادُ بالحجةِ والبرهانِ أفضلُ منَ الجهادِ بالسيفِ والسنان، وذلك لأنَّ الجهادَ بالسيفِ والسنانِ يَقدِرُ عليه كُلُّ أحدٍ، أما الجهادُ بالحجةِ والبرهانِ فلا يقدرُ عليه إلا العلماء.

ثانياً: نهى اللهُ عزَّ وجلّ رسولَهُ ﷺ أن يُصليَ على موتاهم أو أنْ يقفَ على قبره

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة].

ثالثاً: نهى اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَهُ ﷺ أن يستغفرَ لهم

قال تعالى: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [التوبة].

رابعاً: لا يقبَلُ اللهُ عزَّ وجَلَّ صرفاً ولا عدلاً

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة].

خامساً: أمر اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يبشرَهم بالعذابِ الأليم في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة].

أما عذابُهم في الآخرة فهو أليمٌ وشديدٌ:

أولاً : في أرض المحشر يفضحُهمُ اللهُ ويُذِلُّهم

وذلك حينَ تظهرُ العلامةُ التي بينَ المؤمنين وبين ربِّهم فيَخِرُّونَ لربِّهم سُجَّداً فإذا سجدَ المؤمنون وأراد المنافقون أن يسجدوا معَ المؤمنين كما كانوا يسجدونَ في الدنيا مُنِعُوا من السجودِ وتصلّبتْ ظهورُهم فلا يستطيعونَ السجودَ يومئذٍ وترهَقُهم ذِلّة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم].

ثانياً : على الصراطِ يفضحُهم اللهُ ويُذِلُّهم ويخزيهم

وذلكَ حينَ ينقطعُ عنهمُ النورُ الذي يمشونَ فيه مع المؤمنينَ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحديد].

ثالثاً: في جهنم

١ - جمعَ اللهُ بينهم وبينَ الكافرينَ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

كيف لا؟ فالمرءُ يومَ القيامةِ مَعَ مَنْ أحبَّ، والمنافقونَ كانوا معَ المؤمنين ظاهراً ويُحِبُّونَ الكافرين باطناً قال تعالى في وصفهم: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران:١٦٧].

٢ - أسكنهم اللهُ في أشدِّ دَرَكاتِ النارِ عذاباً

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

٣ - لعنهُمُ الله وغضب عليهم وأعدَّ لهم عذاباً مُقيماً في جهنمَ لا يخرجونَ منه أبداً

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

هذا عذابُ المنافقينَ في جهنمَ ومعَ ذلك: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء].

عبادَ اللهِ! ها هم المنافقونَ الذين يُبْطنونَ الكفرَ ويُظهرونَ الإسلامَ، فهذا خطرُهم على الإسلامِ والمسلمينَ، وهذا ما أعدَّهُ اللهُ لهم منَ العذابِ في الدنيا والآخرةِ.

فما هي صفاتُهُمُ التي وصفهُمُ اللهُ بها في كتابهِ ورسولُهُ ﷺ في سنته؟ هذا الذي سنعرفه إن شاءَ اللهُ تعالى في الجمعة القادمة وإنْ كان في العمر بقية.

الفصلُ الثاني

صفاتُ المنافقين

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابِه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٦) هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)﴾ [المنافقون].

في الجمعة الماضيةِ تكلمنا عن النفاق والمنافقينَ وتبينَ لنا:

- أنَّ المنافقينَ همُ الذينَ يُبطنونَ الكفرَ ويُظهرونَ الإسلامَ فقلوبُهم مريضةٌ، كما قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فعاقبهُمُ الله -عزَّ وجلَّ- فقال تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)﴾ [المنافقون].

• وتبينَ لنا أيضاً في الجمعةِ الماضيةِ أنَّ المنافقينَ همْ أخطرُ الناسِ على الإسلامِ والمسلمينَ؛ ولذلك قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم].

وقال له أيضاً: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

• **عباد الله!** إذا كانَ المنافقونَ همُ الأعداءُ، وأمرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- رسولَهُ أن يَحْذَرَهُمْ لخطرِهم، فما هي صفاتُهمْ في الكتابِ والسنةِ لنكونَ منهم على حذر؟

أولاً: الكذب

فالمنافقونَ هم أكذبُ الناسِ على الإطلاقِ بشهادةِ ربِّ العالمين قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر].

ويقول ﷺ: «**آيَةُ الـمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

وقال ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1].

• فالمنافقُ فسدَ قلبُهُ بالنفاقِ، وفسدَ لسانهُ بالكذبِ، فهو من أفسدِ الناسِ وأعوجِ الناسِ وأضلِّ الناس.

قال ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجُسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»[2].

وقال ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ[3] فتقولُ: اتَّقِ اللهَّ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»[4].

ثانياً: أحسنُ الناس أجساماً وأعسلُهم لساناً وألطفُهم بياناً وأخبثهم قلوباً «شياطين في جثمان إنس»

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

(١) متفق عليه: رواه البخاري(٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري(٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) تكفّر اللسان أي: تذل وتخضع له.

(٤) حسن: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، وأبو يعلى (١١٨٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٩٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧١)].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة].

وهذا النوع من البشر هو أخطرُ ما يكونُ على الأمةِ الإسلاميةِ ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»[1].

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ لرسولِهِ ﷺ: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ [المنافقون:٤].

ثالثاً: لهمُ وجهانِ ولسانان:

وجهٌ يَلْقَوْنَ بِهِ المؤمنينَ، ووجهٌ يُلْقَوْنَ به الكافرين، لسانٌ يتكلمونَ به مع المؤمنين، ولسانٌ يتكلمونَ به مع الكافرين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

وهذا الصنفُ منَ البشرِ منْ شرِّ الناسِ قال ﷺ: «تَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ»[2].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٢)، والبزار (٣٠٥) عن عمر بن الخطاب، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٣٧/ رقم٥٩٣)، والبزار (٣٥١٤) عن عمران بن حصين، [«صحيح الترغيب» (١٣٢، ١٣٣)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦).

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللهُ لَهُ لِسَانَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارٍ»[1].

رابعاً: التذبذبُ بينَ الكفرِ والإيمانِ

فلا هُمْ معَ الكفارِ ظاهراً وباطناً، ولا هُمْ معَ المؤمنين ظاهراً وباطناً وإنما يتلونونَ حسبَ أهوائِهم ومصالِحِهم قال تعالى في وصفهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «مَثَلُ الْـمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ[2] بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ[3] إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»[4].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلّ يقولُ في وصفهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤١].

خامساً: يشبهُ بعضُهم بعضاً في الخُبْثِ والصفاتِ الذميمة

قال تعالى في وصفهم: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ -أي:

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو يعلى (٢٧٧٢)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٨٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٥٠)].

(٢) العائرة: المترددة الحائرة لا تدري أيهما تتبع.

(٣) تعيرُ: أي تتردد وتذهب.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٨٤).

بعضُهم يشبه بعضاً- ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

سادساً: كسلٌ ورياءٌ في العبادة

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْـمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[1].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْـمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى[2] بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٥٧)، ومسلم (٦٥١).

(٢) يهادى: يمشي معتمداً عليهما.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

سابعاً: إذا دُعوا إلى التمسكِ بالكتابِ والسنةِ ومنهجِ الصحابةِ رضي الله عنهم أعرضوا ورفضوا ونفروا

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ -أي: الكتاب- ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ -أي: السنة- ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١)﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ -أي: كما آمن الصحابة- ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾ [البقرة].

وسبيلُ الصحابةِ رضي الله عنهم هو سبيلُ النجاةِ، مَنْ سلكهُ سعدَ في الدنيا والآخرة، ومن سلَكَ غيرَهُ شقي في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)**﴾ [النساء].

فالذي يبغض الصحابة، ويبغض منهجهم منافقٌ وإن ادعى الاصلاح، يقول ﷺ: «**الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ**»[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

ثامناً: لا يطلبونَ العزة بالإسلامِ، ولكنْ يطلبونَها بموالاةِ الكفار

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

تاسعاً: إخلافُهم للوعدِ

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة].

وقال ﷺ: «**آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلاَثٌ**» وذكر منهم: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**»[1].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٣)، ومسلم (٥٩).

عاشراً: يوقدون نارَ الفتنةِ دائماً، ولا يتمنَّوْنَ الخيرَ للمؤمنين، ويفرحونَ إذا نزلتْ بالمؤمنينَ مصيبة

قال تعالى في وصفهم: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة].

الحادي عشر: جبنٌ في أرضِ المعركةِ، وفرارٌ إذا حميَ الوطيس

وهذا حالهم في غزوةِ الأحزاب قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].

في هذه اللحظةِ الحرجةِ التي زُلزِلَ المؤمنونَ فيها زلزالاً شديداً؛ اسمعْ ماذا

يقولُ المنافقونَ وماذا يطلبون: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحزاب].

عبادَ الله! ها همُ المنافقونَ، وها هي صفاتُهم، وها هو خطرُهم؛ مفسدون في الأرض، فضحَهُم اللهُ في كتابه، ورسولُهُ في سنتهِ ومع ذلك: ﴿إذا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة].

• فالمنافقون هم المفسدون حقاً وإن ادعوا الإصلاح، ومواقفهم الخبيثةُ تدلُّ على فسادهم وإفسادهم، ولذلك أخبر اللهُ عبادَهُ بمواقفهم في كتابه ليكونوا منهم على حذر.

نسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أنْ يحفظَ المسلمينَ وبلادَ المسلمين من خطرِ النفاقِ والمنافقينَ.

ما هي مواقف المنافقين في الكتاب والسنة؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

الفصلُ الثالث

مواقفُ المنافقينَ وأثرُها السيءُ في الأمةِ الإسلاميةِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في وصفِ المنافقينَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة].

- المنافقون هم أخطرُ الناسِ على الإسلامِ والمسلمينَ، وهمُ العدوُّ الحقيقيُّ للأمةِ الإسلاميةِ قديماً وحديثاً. يقول اللهُ عزَّ وجلَّ لرسولِهِ ﷺ: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

- ويظهرُ خطرُ المنافقينَ مما يلي:

أولاً: من تقسيمِ الله عزّ وجلّ الناسَ في أولِ سورةِ البقرةِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: المؤمنونَ الخُلَّصُ وهم الذين آمنوا باطناً وظاهراً، ذكرَهُمُ اللهُ ووصفَهم في أربعِ آياتٍ.

القسمُ الثاني: الكافرونَ الخُلَّص وهمُ الذينَ كفروا باطناً وظاهراً، ذكرهم الله عزَّ وجلَّ ووصفهم في آيتين.

القسمُ الثالثُ: المنافقون ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٣] وإنما همْ مؤمنونَ ظاهراً، وكافرونَ باطناً، فليسوا من الفريقين.

ولخطرِهم على الإسلامِ والمسلمينَ فقد ذكرَهُم اللهُ ووصفَهم في ثلاثَ عشرةَ آيةً.

ثانياً: ويظهرُ خطرُ المنافقينَ أيضاً من صفاتهم والتي منها:

١ - **ادعاءُ الإيمان كذباً**. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [البقرة].

٢- **الخداعُ والمراوغةُ**. قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [البقرة].

٣- **مرضُ القلبِ**. قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ [البقرة:١٠].

٤ - **ادعاءُ الصلاحِ والإصلاحِ، مع إفسادِهم في الأرضِ**. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة].

٥- **الكذبُ**. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون].

٦- **التذبذبُ**. قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء].

٧- **التلون**. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

٨- **التحاكمُ إلى غيرِ شرعِ الله**. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور].

إلى غيرِ ذلكَ من صفاتِهم الخبيثةِ التي تدلُّ على خطرِهم

ثالثاً: ويظهرُ خطرُ المنافقينَ أيضاً من مواقفِهم الخبيثةِ قديماً وحديثاً التي تدلُّ على عدائهم لأهلِ الإيمان ومنها:

الموقفُ الأولُ: يتمنى المنافقون دائماً الضررَ والمشقةَ والإحراجَ للمؤمنين

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران:١١٨].

فاللهُ عزَّ وجلَّ ينهى عبادَهُ المؤمنينَ عنِ اتخاذِ المنافقينَ بطانةً يطلعونهم على سرائر الأمور وبواطنها، لأنهم لا يألونَ المؤمنين خبالاً. ومعنى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران:١١٨] أي: لا يقصرونَ في خبالكم.

والخَبالُ: هو اختلالُ الأمرِ وفسادُهُ، ومنه سُمِيَ فسادُ العقلِ: خبالاً.

قال القرطبيُّ: (لا يتركونَ الجهدَ في فسادكم، يعني أنهم وإنْ لم يقاتلوكم في الظاهرِ فإنهم لا يتركونَ الجهدَ في المكرِ والخديعةِ)[١].

• وقوله: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: رغبوا فيما يشقُ عليكم ويتعبُكم.

• والمنافقون: لا شك أنهم من بطانةِ الشرِّ التي ينبغي أن تُطْردَ وتُقصى لخطرِهم على المؤمنين وعلى ولاةِ الأمر.

قال ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى**»[٢].

فاتخاذُ المنافقينَ بطانةً يؤدي إلى فسادِ الأمرِ، واختلالِ الأنظمة، واضطرابِ الحياةِ كُلِّها، لأنهم لا ينصحونَ لولاةِ الأمرِ، ولا يأمرونَ إلا بالشرِّ والفسادِ، مما يؤدي إلى اشتعالِ نيرانِ الفتنِ بين أبناء الدينِ الواحدِ والأمةِ الواحدةِ.

---

(١) القرطبي في «تفسيره» (٤/ ١٧٩).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧١٩٨).

كيف لا؟ والله عزّ وجلّ يقول في وصفهم: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

ويقول سبحانه في وصفِهم أيضاً: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة].

ومن الأمثلةِ في السُّنةِ على موقفِ المنافقينَ الخبيثِ في إشعالِ نارِ الفتنةِ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ: موقفهُم في غزوةِ بني المصْطَلِق.

• لما خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى غزوةِ بني المصطلق، خرجَ معه نفرٌ من المنافقينَ وعلى رأسهم عبدُالله بنُ أُبيٍّ بنِ سلولٍ فكان خروجُهم كما وصفهُمُ اللهُ في كتابه: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة:٤٧].

وعندما انتصرَ المسلمون على بني المصطلق، وعند ماءِ المُرَيْسِيع كشفَ المنافقونَ عن الحقدِ الذي يضمرونه للإسلامِ والمسلمينَ، فكلما كَسِبَ الإسلامُ نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم كما وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة] فعند ماء المريسيع عكّر المنافقون هذا النصرُ بأنْ أثاروا العصبيةَ الجاهليةَ بين المهاجرينَ والأنصارِ، وأثاروا الفتنةَ وغرسوا بذورَ الفُرقةِ في النفوسِ.

• وعن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما قال: (كُنَّا فِي غَزَاةٍ -وهي غزوةُ بني المصطلق- فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ -أي ضربَهُ برجله- فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ! وَقَالَ الْـمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَ ذَاكَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ الله ابْنُ أُبَيٍّ -زعيم المنافقين- فَقَالَ: فَعَلُوهَا؟! -يقصد بذلك المهاجرين- أَمَا وَالله لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْـمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ -يعني لعنهُ اللهُ بالأعزِّ نفسه وبالأذلِّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَامَ عُمَرُ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْـمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**دَعْهُ يا عمرُ! لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**» وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْـمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْـمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ)[1].

الموقفُ الثاني: في بغضِهم وكراهيتهم للمؤمنينَ

يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في وصفهم: ﴿**قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران:١١٨].

ويقول سبحانه في وصفهم أيضاً: ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ**﴾ [آل عمران:١١٩].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٠٥).

فالعداوةُ ظاهرةٌ وإنْ كانوا يجتهدونَ في إخفائِها، ولكنْ لشدتِها واستحكامِها من قلوبهم لا يستطيعون إخفاءَها بالكليةِ، فتظهرُ عليهم بينَ حينٍ وآخرَ في فلتاتِ ألسنتِهم، ونظراتِ أعينِهم، وتعليقاتِهم التي لا تصدُرُ إلا من قلبٍ به دخَنُ النفاقِ وسخريتِهم واستهزائِهم ومع ذلك كُلُّه فما تُخفي صدورُهم أكبرُ مما يبدونَه من العداوةِ والبُغْضِ للمؤمنين.

قال ابنُ كثيرٍ في معنى قولِه تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (أي:قد لاحَ على صَفَحاتِ وجوهِهم، وفلتاتِ ألسِنتهم منَ العداوةِ، مع ما هم مشتملون عليه في صدورِهم من البغضاءِ للإسلام وأهلِه، ما لا يخفى مثلُه على لبيبٍ عاقلٍ)[1].

• وقد أشارَ اللهُ تعالى إلى تلك الفلتاتِ في قوله ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ ويمكن معرفتُهم أيضاً من نَظَراتهم وحرَكاتهم كما قال تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد:٢٠].

فمنطقُهم يدلُّ على البغضِ، ونظراتُهم تدلُّ على البعضِ، وحركاتُهم تدلُّ على البغضِ، ولكن لا يَعْرفُ ذلكَ إلا اللبيبُ العاقلُ؛ ولذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

---

(١) ابن كثير في «تفسيره» (٢/١٠٨).

• وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ أي: نفاقاً وتَقِيَّةً.

وأما حقيقتُهم: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تأسفاً وتحسراً، حيث عجزوا عن الانتقام منكم[1].

• وقوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ يدلُّ أيضاً على شدةِ عداوتِهم وغيظِهم وحَنقِهم على المؤمنين؛ فهو غيظٌ يمكنُ أن يموتوا منه، وهي عداوةٌ مستمرةٌ تؤدي إلى إهلاكِهم أنفسَهم.

• ومن الأدلةِ أيضاً في كتابِ الله على كراهيةِ وبغضِ المنافقينَ للمؤمنين حزنُهم إذا نزلَ بالمسلمينَ خيرٌ، وفرحهم إذا نزلَ بالمسلمين مصيبةٌ.

قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة].

ففي هاتين الآتين بينَ سبحانه وتعالى أن المنافقين مع مالَهُمْ من الصفاتِ الذميمةِ والأفعالِ القبيحةِ مترقبونَ نزولَ نوعٍ من المحنةِ والبلاءِ والمصائبِ بالمؤمنين.

(١) الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ١٧).

وقد جهلَ المنافقونَ أنَّ كُلَّ ما يُقَدِّرُهُ اللهُ تعالى على المؤمنين خيرٌ لهم فقال تعالى رداً عليهم: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة].

وقال ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْـمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ؛ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه**»(١).

الموقف الثالثُ: موقفُهم من الغَزَواتِ

المنافقون في الغزواتِ يثبطون المؤمنينَ ويكيدون لهم، ويتربصون بهم، ويتجسسون عليهم، وينشرون الإشاعاتِ والأراجيفَ عندَ القتالِ والتحامِ الصفوفِ لإحداثِ الخلخلةِ والاضطرابِ في أوساطِ الجيش.

فمواقفُهم خبيثةٌ قبلَ الغزوةِ، وفي أرضِ المعركةِ، وبعدَ الغزوةِ.

• **فقبلَ الغزوةِ**؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال:٤٩] أي: ما جاءَ في دينهم منَ الوعدِ بالنصرِ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩).

والتمكين، قالوا ذلكَ لتهتزَّ صفوفُ المؤمنينَ في هذه اللحظاتِ الحرجة، وقد أرادَ المنافقونَ تثبيطَ المؤمنينَ عن الخروجِ للغزوةِ.

قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب:١٣].

وقالوا للمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]. وقالوا أيضاً: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة:٨١].

• **وفي أثناءِ الغزوةِ**؛ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ عنهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب:١٢-١٣].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب].

• **وبعد الانتهاءِ من الغزوةِ يحلفون ويعتذرون للنبيِّ ﷺ وللمؤمنين**؛ قال تعالى في وصفهم: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا

ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٩٦﴾ [التوبة].

فيقول الله عزَّ وجلّ لرسوله ﷺ مكذباً لهؤلاءِ المنافقينَ: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [التوبة].

الموقفُ الرابعُ: التفريقُ بينَ المؤمنينَ، والتجسسُ عليهم، والتربصُ بهم

ومن الأمثلةِ على ذلك:

المثال الأول: اتخاذُهم مسجدَ الضرارِ

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ

لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة].

يؤخذُ من هذه الآيات:

١- أن المنافقينَ ظنوا بغَبائهم أنَّ اللهَ لا يراهم ولا يعلمُ ما في قلوبهم كما وصفهم اللهُ عزّ وجلّ في قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

٢- المنافقون تحايلوا للحصولِ على غِطاءٍ شرعيٍّ (وهو بناءُ المسجِدِ) لعملٍ غيرِ شرعيٍّ (وهو التفريقُ بين المؤمنين).

٣- المنافقون يتحدثونَ باسمِ الدينِ، وأنهم يريدونَ الخيرَ للأمةِ.

٤- المنافقون جعلوا مسجدَهم مجاوراً لمسجدِ قُباء، حتى يشتبهَ على المسلمينَ الحقُّ بباطلِهم.

٥- المنافقونَ جعلوا مسجِدَهم مركزاً للتجسسِ والتآمرِ على المسلمينَ بالتعاونِ معَ العدوِّ الخارجي.

وهذا حالُ المنافقين في كلِّ زمانٍ ومكان، وعلى مدى التاريخ، منَ الأمسِ القريبِ على عهدِ النبوةِ وحتى اليومِ الذي نعيشه، وسيظلُّ للغدِ البعيدِ، المنافقُ هو المنافقُ لا يتغيرُ.

المثال الثاني: رميُهم أُمَّ المؤمنينَ عائشةَ ﷺ بالفاحشةِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور].

والذين جاءوا بالإفك هم جماعةُ المنافقينَ، وعلى رأسِهم عبدُالله بنُ أُبي زعيمُهم وسيدُهم وقد رمى المنافقون عائشةَ ﷺ بالفاحشةِ معَ صفوانَ بن المُعطِّل أحدِ الصحابةِ الأطهارِ، وكانَ عبدُالله بنُ أُبي هو الذي تولى كِبْرَ نشرِ هذه الفِرْيةِ، وكان هدفُ المنافقينَ منْ ذلك أموراً منها:

أولاً: إيذاءُ النبيِّ ﷺ في عِرْضِه وهوَ أعزُّ ما يملكُه المسلمُ.

ثانياً: ضربُ الدعوةِ التي قامَتْ على الأخلاقِ والفضائِل، من خلالِ ردِّ الفعلِ العكسيِّ على الذين صَدَّقوا هذا الإفكَ.

ثالثاً: نشرُ الإشاعاتِ والأراجيفِ التي تعملُ على خلخلةِ النظام، وتُجرِّئ السفهاءَ على تعدي حدودِهم.

رابعاً: إيذاءُ المؤمنينَ ومنهم عائشةُ وأبو بكرٍ، وأمُّها، وصفوانُ بنُ المعطِّل وغيرُهم.

خامساً: إحداثُ الفُرْقةِ بينَ المؤمنينَ، وهذا ما كانَ سيحدثُ فعلاً بين الأوسِ والخزرجِ، فقد كادَ الفريقان يقتتلانِ في حضرةِ رسولِ الله ﷺ.

تقولُ عائشةُ ﷺ: قامَ رسولُ الله ﷺ على المنبرِ فاستعذرَ من عبداللهِ بنِ أُبيِّ ابن سلولٍ.

قالت: فقال رسولُ الله ﷺ وهو على المنبر: « قَالَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**يَا مَعْشَرَ الْـمُسْلِمِينَ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي**» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ الله! إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ. لَعَمْرُ الله! لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ. لَعَمْرُ الله! لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ، حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ)[1].

- فالمنافقونَ شرٌّ على الإسلامِ والمسلمينَ، وهم دائماً يتربَّصونَ بالمؤمنينَ الدوائرَ، ويصطادون في الماءِ العكرِ، فعلى المسلمين حكاماً ومحكومين أن يُفوِّتوا الفرصةَ على المنافقين وذلك بما يلي:

أولاً: على ولاةِ الأمرِ أن يتقوا اللهَ في رعيتهم وذلك:

١ - أنْ يَحْكُموهم بالحقِّ والعدلِ ولا يَظلموهم، ولا حقَّ ولا عدلَ إلا في ظلِّ شريعةِ الله.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

٢- أن ينصحوا لرعيتهم دائماً لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ**»(١).

٣- أن لا يَغُشُّوهم قال ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْـجَنَّةَ**»(٢).

٤- أن يَرْفقوا بهم ولا يَشُقُّوا عليهم قال ﷺ: «**اللهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»(٣).

ثانياً: على الرعيةِ أن تتقيَ اللهَ في وليِّ أمرِها وذلك:

١- أن يسمعوا ويطيعوا له ما لم يأمرْهم بمعصيةِ الله لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء:٥٩].

ولقوله ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عزَّ وجلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حبشيٌّ**»(٤).

٢- أن ينصحوا له فيما بينهم وبينه، ولا يكونُ ذلك على الملأ أمامَ الناس

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٢).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٢٨).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

لقوله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْـمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[1].

ثالثاً: على الراعي والرعيةِ أن يتقوا اللهَ عزَّ وجلَّ، فإنَّ تقوى اللهِ سببٌ لزيادةِ الرزقِ ونزولِ البركات

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف].

فكونوا يا عبادَ الله! منَ المنافقينَ على حذرٍ ولا تنخدعوا بمكرهم.

عباد الله! المنافقونَ همُ العدُوُّ كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

فما هي الوسائلُ الشرعيةُ الواجبُ اتباعُها في مواجهةِ النفاقِ وأساليبه؟ هذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ الله تعالى.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

الفصلُ الرابع
الوسائلُ الشرعيةُ الواجبُ اتباعُها
في مواجهةِ النفاقِ والمنافقين

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة].

ويقول سبحانه في وصف المنافقين أيضاً: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم

مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة].

• **عباد الله!** المنافقونَ موجودونَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، حتى في عصرِ النبوةِ، وحتى في مدينةِ رسولِ الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى عن زعيمِ المنافقينَ ابنِ سلولٍ: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].

• المنافقونَ لهم تأثيرٌ سلبيٌّ في المجتمع المسلم لما يحملونَهُ من شُبُهاتٍ في قلوبهم، وكَذِبٍ على ألسنتهم، وأخلاقٍ سيئةٍ في تصرُّفاتِهم.

وذلك لأنَّ المنافقَ لا يلتزمُ بضوابطِ الدينِ والأخلاقِ والسلوكِ الشرعي؛ لأنَّ الدافعَ الداخليَّ للالتزامِ بهذه الضوابط غيرُ موجودٍ لديه، وحينئذٍ فإنه سيندفعُ لتحقيقِ رَغَباتِهِ وشَهَوَاتِهِ في المجتمعِ دونَ مراعاةٍ لما حرَّم اللهُ وما أحلَّ، ولما يتفقُ معَ الخُلُقِ القويمِ والسلوكِ السليمِ.

فالمنافقُ فسدَ قلبُهُ بالنفاقِ والشُّبُهاتِ، وفَسدَ لسانَهُ بالكذبِ، وضِعافُ الإيمانِ في المجتمعِ يتأثرونَ بهِ لما أُعطيَ من جمالٍ في الجسدِ وحلاوةٍ في اللسانِ كما وصفَهُمُ اللهُ في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

ولذلك فهم أخطرُ الناسِ على الأمةِ الإسلاميةِ، قال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»[١].

• ونظراً لكونِ المنافقينَ يختلطون بشكلٍ دائم بالمؤمنينَ في مجتمعهم بحيثُ لا يمكنُ التحرزُ منهم، فإنهم يستطيعونَ أن يؤَثّروا في أفرادِ المجتمعِ بدرجةٍ كبيرةٍ بالتركيزِ على الشُّبُهاتِ، وإلقائِها على ضَعيفِ الإيمانِ وحديثِ العهدِ بالعلمِ ونحوهم مِمَّنْ يكونُ تأثيرُ الشبهاتِ عليهم قوياً مُرَكّزاً، كما أنَّ المنافقينَ يَعْمَدونَ إلى الهدمِ في المجتمع -لا البناء- ومعلومٌ أنَّ الهدمَ أهونُ وأسهلُ منَ البناءِ، وبالتالي فإنهم يَحُولونَ بينَ المصلحين وبينَ تهيئةِ الجوِّ الإيمانيِّ الصالحِ لتربيةِ أبناءِ المجتمعِ بالقدوَةِ الحسنةِ والسلوكِ الشريفِ. وإذا قالَ لهمُ المصلحونَ لا تُفْسدوا في الأرضِ، قالوا إنما نحنُ مصلحونَ، وهذا دأْبُهم دائماً كما وصفَهُمُ اللهُ في كتابه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٢)، والبزار (٣٠٥) عن عمر بن الخطاب، والطبراني في «الكبير»(١٨/ ٢٣٧/ رقم٥٩٣)، والبزار (٣٥١٤) عن عمران بن حصين، [«صحيح الترغيب» (١٣٢، ١٣٣)].

• ويكفي للتدليلِ على قوةِ تأثير النفاقِ في المجتمعِ المسلمِ التذكيرُ بما فعلَهُ المنافقونَ على عهدِ النبيِّ ﷺ أثناءَ حادثةِ الإفكِ المشهورةِ، حيثُ تولى زعيمُهم عبدُالله بنُ أُبي بنِ سلولٍ كِبْرَ القولِ بالإفكِ والبهتانِ في حَقِّ أمِّ المؤمنينَ وزوجِ رسولِ الله ﷺ عائشةَ بنتِ الصِّدِّيقِ ﵂ وروَّجَ ذلكَ في المجتمعِ المسلمِ المكوَّنِ منَ الثُلَّةِ المؤمنةِ الطاهرةِ منْ أصحابِ النبيِّ ﷺ.

والشاهدُ أنَّ المنافقينَ استطاعوا أن يُؤَثروا في بعضِ أفرادِ أطهرِ مجتمعٍ عرَفَتْهُ البشريةُ، فوجدوا منَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بل منَ الصحابةِ والصحابياتِ مَنْ يستمعُ إلى أقوالِهم فلا ينكرُها، ولا يَرُدُّها كما هو المفْتَرَضُ بالمؤمنينَ وخصوصاً وهمْ يسمعونَ هذا الكلامَ في عِرْضِ أطهرِ الخلقِ ورسولِ ربِّ العالمينَ، إلى الحدِّ الذي استدعى أن يتَنزلَ القرآنُ مُعاتباً للمؤمنينَ الذينَ يتشكلُ منهمُ المجتمعُ المسلمُ – يومَذاك – على تأثُّرِهم بهذا الإفكِ والبهتانِ الذي روَّجه أهلُ النفاق بينَ الناسِ.

قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور].

فإذا كانَ تأثيرُ أهلِ النفاقِ لا يُنكَرُ حتى في المجتمع الذي كانَ يعيشُ فيه النبيُّ

ﷺ، فإنَّ تأثيرَهُ في مجتمعاتِ المسلمينَ التي جاءتْ بعدَ ذلك أعظمُ، وخطرَه أكبرُ، وواقعُ المسلمينَ اليومَ خيرُ شاهدٍ على ذلكَ.

عباد الله! بعد أن تَعَرَّضْنا لآثارِ النفاقِ الخطيرةِ على الأمةِ الإسلاميةِ، واستبانَتْ لنا أهدافُ المنافقينَ وغاياتُهم، وعرفنا أبرزَ وسائِلهم التي يسلكونها، وأساليبهم التي ينتهجونَها، فإننا لابدَّ أنْ نَخْرُجَ بنتيجةٍ مُؤَكَّدَةٍ لا تَقْبَلُ الشكَّ أو الجَدَلَ، ألا وهي:

وجوبُ المواجهةِ الفوريةِ للنفاقِ وأهله وأساليبِهم، وعدمُ تأخيرها لأيِّ سببٍ منَ الأسبابِ وتحتَ أيِّ ظرفٍ من الظروف، وحينَ تتخلفُ المواجهةُ أو تَضْعُفُ عزيمةُ المواجهينَ، فإنَّ البديلَ سيكونُ مظلماً قاتماً، لأنَّ المجتمعَ سيتمُّ تدميرُه على أيدي المنافقين باستخدامِ وسائِلهم التي أشَرْنا آنفاً إلى طَرَفٍ منها، وسيتسلقُ المنافقونَ ويظهرونَ، ويجتهدونَ في تحقيقِ أهدافِهم وعلى رأسِها تدميرُ الإسلامِ والقضاءِ على المسلمينَ.

بيدَ أنَّ هذه المواجهةَ التي نَنْشُدُها يجب أن تكونَ بالوسائلِ الشرعيةِ فقط، كما هو الحالُ في كلِّ فعلٍ وتحركٍ يقومُ بهِ أهلُ الإسلامِ، فإنَّ الضوابطَ الشرعيةَ هي الإطارُ الذي لا يمكنُ تجاوزُه حتى أثناءِ أكثرِ الحالاتِ خطورةً وصعوبةً، فالغايةُ لا تبررُ الوسيلةَ في الإسلامِ، فكما أنَّ الغايةَ لابدَّ أنْ تكونَ مشروعةً، فإنَّ الوسيلةَ التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تلكَ الغايةِ يجبُ أن تكونَ مشروعةً أيضاً.

ومن رحمةِ الله تعالى بهذه الأمةِ أنْ شرعَ لها وسائلَ فعَّالةً وحاسمةً وشاملةً لمعالجةِ قضيةِ النفاق، والتعاملِ معَ المنافقين.

• فما هي الوسائلُ الشرعيةُ الواجبُ اتباعُها في مواجهةِ النفاقِ والمنافقين

يمكنُ تقسيمُ الوسائلِ الشرعيةِ لمواجهةِ النفاقِ والمنافقينَ إلى قسمين: وسائلُ وقائيةٌ ووسائلُ علاجيةٌ

القسم الأولُ: الوسائل الوقائية

ويغلبُ عليها جانبُ حمايةِ المجتمعِ ووقايتِهِ منْ أنْ ينزلقَ عددٌ أكبرُ منْ أفرادِهِ إلى هاويةِ النفاقِ.

الوسيلةُ الأولى: التنفيرُ من النفاقِ والمنافقينَ، والتحذيرُ منَ الاغترارِ بهم

يجبُ أن يُحمى المجتمعُ منَ النفاقِ عنْ طريقِ التنفيرِ منه ومنْ أهلِهِ، لِيَكْرَهَهُمُ الناسُ، ويَنفروا عن أفكارِهِم ومناهِجِهم. ولا يتأتى ذلكَ إلا بوصفهم بما يستحقونَه من أوصافٍ وردَتْ في الكتابِ العزيزِ.

• فاللهُ عزَّ وجلَّ يصفُ المنافقينَ في كتابه بالكذبِ لِيَنْفِرَ الناسُ عنهم فيقولُ سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون].

ويقولُ سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة]. ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة].

• ويصفُ الله عزَّ وجلَّ المنافقينَ في كتابه بالفُسْقِ وأنهم هم الفاسقون لينفرَ الناسُ عنهم.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة].

• ووصف اللهُ عزَّ وجلَّ المنافقين في كتابِهِ بالجبنِ والخوفِ

فقال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب].

• ووصف اللهُ عزَّ وجلَّ المنافقينَ في كتابه بالبخلِ تنفيراً منهم

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

ووصفهُم الله عزَّ وجلَّ في كتابهِ بالكفرِ به وبرسولِه ﷺ، وأخبر عبادَهُ أنَّ المنافقينَ ليسوا بمؤمنين. فقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى في وصفهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور].

فعلى المسلمينَ حكاماً ومحكومينَ، وعلى العلماءِ والدعاةِ والخطباءِ أن يفضَحوا المنافقينَ في كُلِّ وسائلِ الإعلامِ بذكرِ صفاتِهمُ الخبيثةَ لَيُنَفِّروا الناسَ عنهم حِفاظاً على المجتمعاتِ الإسلاميةِ من شرِّ النفاقِ والمنافقين.

الوسيلةُ الثانية: فضحُ المنافقين بأُخُوَتِّهم لليهودِ، ومحبَّتِهم لهم، والالتقاءِ بهم سراً للقضاءِ على الإسلامِ والمسلمين

• اليهودُ لعنهمُ اللهُ همُ أشدُّ الناسِ عداوةً للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة].

وعن أمِّ المؤمنينَ صفيةَ بنتِ حيي بنِ أخطبَ رضي الله عنها أنها قالت: كنتُ أَحَبَّ ولدِ أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر؛ لم أَلْقَهما قطُّ مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه.

قالت: فلما قدمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ، ونزلَ قباءَ في بني عمرو بن عوفٍ، غدا عليه أبي حييُّ بنُ أخطبَ وعمي أبو ياسرِ بنِ أخطبَ مُغَلِّسينَ -أي: وقتَ صلاة الفجر-. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالَّيْن كسلانَيْنِ ساقِطَيْنِ يمشيان الهُوينى، قالت: فهَشْشْتُ إليهما كما كنتُ أصنعُ. فوالله! ما التفتَ إليَّ واحدٌ منهما، مع ما بهما من الغمِّ.

قالت: وسمعتُ عمي أبا ياسر، وهو يقولُ لأبي حييِّ بنِ أخطبَ: أهُوَ هُوَ؟ -أي: أهوَ الرسولُ الذي نَعْرِفُه في التوراةِ؟ قال: نعمْ واللهِ! قال: أتعرفُه وتُثَبِّتُه؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوتُهُ واللهِ! ما بقيتُ[1].

فاليهودُ أعداؤُنا لا يختلفُ في ذلكَ اثنان، وما يفعلونَهُ من القتلِ والتدميرِ في أرضِ فلسطينَ خاصةً وفي بلادِ المسلمينَ عامةً لا يخفى على مسلمٍ، ومع ذلكَ

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٨-٥١٩).

أخبرنا اللهُ في كتابه أنَّ المنافقينَ يلتقونَ معَ اليهودِ سراً وفي الخفاءِ ويعترفونَ بألسنتهم أنهم مع اليهودِ.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾-أي: اليهود- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

بل أخبرَنا ربُّنا في كتابِهِ أنَّ المنافقينَ في لقائهم معَ اليهودِ سراً يُخبرونهم أنهم على أتَمِّ الاستعدادِ لخدمَتِهم ونُصْرتهم ضدَّ المسلمين قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر].

• ولما نهى ربُّنا جل وعلا عبادَهُ المؤمنين أن يتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء؛ اتخذ المنافقونَ اليهودَ أولياءَ لهم، وتَستَّروا بالأيمانِ الكاذبةِ حتى استحوذَ عليهمُ الشيطانُ فأصبَحوا من حزبِهِ الهالكينَ الخاسرينَ.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ -وهم المنافقون- ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

فعلى المسلمينَ أن يفضحوا المنافقينَ في كُلِّ وسائلِ الإعلامِ، ويُبيِّنُوا للناسِ أنهم يلتقونَ باليهودِ سراً، ويقدِّمونَ لهمُ الخَدماتِ للإضرارِ بالإسلامِ والمسلمينَ تنفيراً للناسِ عنهم وحمايةً للمجتمعاتِ الإسلاميةِ من خطرِ النفاقِ والمنافقين.

الوسيلة الثالثة: التذكيرُ بشدةِ عقوبتِهم وعظيمِ عذابِهم، وحلولِ اللعنةِ عليهم منَ الله تعالى

• المداومةُ على التركيز بالعقوباتِ الأُخرويةِ التي تقعُ على المنافقينَ تنفعُ المؤمنَ، وتجعلُ بينَه وبينَ النفاقِ حاجزاً قوياً لا يتجاوزُه حتى في أشدِّ حالاتِ ضعفِه وغفلتِه وارتكابِهِ للمعاصي والآثامِ ولذا فقد جاءَ القرآنُ الكريمُ ببيانِ ما أعدَّهُ اللهُ للمنافقين من العذابِ الأليمِ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم]. وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب].

الوسيلة الرابعة: تنقيةُ وسائلِ التأثير في المجتمعِ -كالجيشِ والإعلامِ والتعليمِ- منْ أشخاصِ المنافقينَ وأفكارِهم

أولاً: لأنهم عدوٌّ كما قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

ثانياً: لأنهم رجسٌ قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة:٩٥].

ثالثاً: لأنهم خونةٌ قال ﷺ: «**آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلاثٌ**» وذكر منها: «**وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1].

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال].

رابعاً: لأنَّ اللهَ أمرَ نبيَّه ﷺ بمنعِ مشاركةِ المنافقينَ في الجيشِ المسلمِ فقال تعالى:

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة:٨٣].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٣)، ومسلم (٥٩).

وبَيَّنَ ربُّنا جلَّ وعلا لرسوله ﷺ العلةَ منْ ذلك فقال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة].

خامساً: لأنهم بطانةُ شَرٍّ يأمرونَ بالمنكرِ ويَنْهَوْنَ عن المعروفِ ولا يحبونَ الخيرَ للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران].

فعلى المسلمين حكاماً ومحكومينَ أن يأخذوا بهذه الوسائلِ الشرعيةِ الوقائيةِ لوقايةِ المجتمعاتِ الإسلاميةِ من شَرِّ النفاقِ والمنافقينَ فالوقايةُ خيرٌ من العلاج.

القسمُ الثاني: الوسائلُ العلاجية

ويغلبُ عليها جانبُ التعاملِ مع المنافقينَ بالوعظِ وغيره لعلهم يتركوا النفاقَ ويتوبوا إلى اللهِ قبلَ فواتِ الأوانِ، وقبل أن يندموا في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

الوسيلةُ الأولى: وَعْظُهم وتذكيرُهم، وتخويفُهم بالله، وبما أعدَّ للمنافقين من العذاب الأليم

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ ﴾ [النساء].

نقولُ لهم يا معشرَ المنافقين! توبوا إلى اللهِ توبةً نصوحاً استجابةً لقوله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

فاللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات]. وفتحَ اللهُ أبوابَ التوبةِ على مصراعَيْها حتى أمامَ الكافر فقال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

ونقولُ لهم يا معشرَ المنافقين! إنْ لم تتوبوا ومُتُّم على نفاقِكم فأبشِروا بالعذابِ الأليمِ في نارِ جهنمَ. قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء:١٤٥].

الوسيلةُ الثانيةُ: البراءةُ منهم وهجرُهم، ومقاطعةُ مجالِسِهم

قال تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

الوسيلةُ الثالثةُ: عدمُ قَبولِ اعتذارِهم وعَدَمُ الرضا عنهم

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة].

الوسيلةُ الرابعةُ: عدمُ الاستغفارِ لهم أو الترحُّمِ عليهم أو الصلاةِ على ميِّتهم

قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ [التوبة].

وكان عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه لا يصلي على مَنْ لم يصل عليه حذيفة ؛ لأنه كانَ في غزوةِ تبوك قد عرفَ المنافقينَ الذين عزموا على الفتكِ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم[1] .

---

(١) ذكره البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١٣/٤١٣) عن الإمام الشافعي، وانظر «منهاج السنة» (٥/١٦٠).

الفصلُ الخامس[1]

وهذا فصلٌ يحتوي على ثلاثِ مسائل:

المسألة الأولى: مُلخصُ صفاتِ وأخلاق المنافقين

لقد فضحَ اللهُ تعالى المنافقينَ في آياتٍ كثيرةٍ وردتْ في القرآنِ الكريمِ في سبعَ عشرةَ سورةٍ من سورِ القرآنِ المدني، وبيَّنَ صفاتِهم بأجلى بيانٍ ومن أبرزِ صفاتِهم:

١ - **إظهارُ الإيمانِ باللهِ تعالى وباليومِ الآخرِ وهم في الحقيقةِ ليسوا بمؤمنين**: كما قالَ تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة].

ويقولُ تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة]، ويقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور].

(إنهم يدّعونَ الإيمانَ باللهِ واليومِ الآخرِ. وهم في الحقيقةِ ليسوا بمؤمنين، إنما هم منافقونَ لا يجرُؤونَ على الإنكارِ والتصريحِ بحقيقةِ شعورِهم في مواجهةِ المؤمنين...).

---

(١) هذا الفصل من كتاب «هم العدو فاحذرهم» بتصرف.

٢- **الإفسادُ في الأرضِ معَ زعمهِم الإصلاحَ** كما وصفهم جلَّ وعلا بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة] وفي المراد بالفسادِ ها هنا خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه الكفر، قاله ابن عباس.

والثاني: العملُ بالمعاصي، قاله أبو العالية ومقاتل.

والثالث: أنَّه الكفرُ والمعاصي، قاله السُّديُّ عن أشياخِه.

والرابع: أنَّه تَرْكُ امتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النواهي، قاله مجاهد.

والخامسُ: أنَّه النفاقُ الذي صادقوا به الكفارَ، وأَطْلعوهم على أسرارِ المؤمنين[1].

والراجحُ منْ هذهِ الأقوالِ الخمسةِ أنها بمجموعها تُمثِّلُ فسادَ المنافقينَ، فجميعُ هذه الأقوالِ تمثلُ أفعالَهُمُ الدنيئةَ.

وأما الإصلاحُ الذي يَدَّعونه فقيل فيه أقوالٌ خمسةٌ أيضاً:

(**أحدُها:** أنَّ معناه إنكارُ ما عُرفوا به، وتقديرُه: ما فعلنا شيئاً يوجبُ الفسادَ.

والثاني: أن معناه: إنا نقصدُ الإصلاحَ بينَ المسلمينَ والكافرينَ، والقولان عن ابن عباس.

(١) «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٢).

والثالث: أنهم أرادوا مصافاةَ الكفارِ وصلاحاً لا فساداً، قاله مجاهدٌ وقتادةُ.

والرابع: أنهم أرادوا أنَّ فِعْلَنا هذا هو الصلاحُ، وتصديقُ محمدٍ ﷺ هو الفسادُ، قاله السُّدي.

والخامسُ: أنهم ظنوا أن مصافاةَ الكفارِ صلاحٌ في الدنيا لا في الدين، لأنهم اعتقدوا أنَّ الدولةَ إنْ كانت للنبيِّ ﷺ، فقد أَمنوه بمبايعتِه، وإن كانت للكافِرِ فقد أَمنوهم بمصافاتهم..) [1].

(فجمعوا بين العملِ بالفسادِ في الأرضِ وإظهارِ أنه ليس بإفسادٍ بل إصلاحٌ، قلباً للحقائقِ، وجمعاً بين فعلِ الباطلِ واعتقادِه حقاً، وهؤلاءِ أعظمُ جنايةً ممن يعملُ بالمعاصي، معَ اعتقادِ تحريمِها فهذا أقربُ للسلامةِ وأرجى لرجوعِهِ) [2].

(والذين يُفسدونَ أشنعَ الفساد، ويقولون إنّهم مصلحون، كثيرون جداً في كُلِّ زمانٍ. يقولونها لأنَّ الموازينَ مختلةٌ في أيديهم. ومتى اختلَّ ميزانُ الإخلاصِ والتجردِ في النفسِ اختلت سائرُ الموازين والقِيَمِ).

ومن هؤلاءِ المصلحينَ المفسدينَ دعاةُ تحررِ المرأةِ كما يزعمون، وهم بهذا التحريرِ يسلخونها من عقيدتِها ومُثُلِها العليا، ويقولون إنه لا ينتجُ عنه إلَّا الخيرُ، فلا نصلُ به إلى مستوى المجتمعاتِ الغربيةِ وأنه سيؤدي إلى تقويةِ روابطِ المجتمع.

---

(١) «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٢).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» لابن السعدي (١/ ٥٠).

وكما جاءَ على لسانِ أحدِ دعاةِ التحريرِ: (ولا نرى مانعاً من السيرِ في تلكَ الطريقِ التي سبقتنا إليها الأممُ الغربيةُ لأننا نشاهدُ أن الغربيينَ يَظهرُ تقدُّمهم في المدنية يوماً فيوماً).

(..وبالجملةِ فإننا لا نهابُ أن نقولَ بوجوبِ منحِ نسائِنا حقوقَهن في حريةِ الفكرِ والعملِ بعد تقويةِ عقولِهن بالتربيةِ حتى لو كان من المُحَقَّقِ أن يمروا في جميع الأدوارِ التي قطعتها وتقطعُها النساءُ الغربياتُ)[1].

وتَبَنى القضيةَ فريقٌ من النسوةِ على رأسِهنَّ هدى شعراوي وفريقٌ من الرجالِ (المدافعين) عن حقوقِ المرأةِ وأصبحَ الحقُّ الأولُ الذي تطالبُ به النسوةُ هو السفورُ، أو صارتِ القضيةُ التي يدورُ حولَها الجدلُ هي السفورُ والحجابُ!. كلُّ هذا بزعمِ الإصلاحِ وما أبعدَهم عن الإصلاحِ!!

٣- البغضُ الشديدُ للإيمانِ وأهلِهِ معَ كبتِ ذلكَ البغضِ وسترِه ليظهروا أمامَ المؤمنين بصفةِ المحبِّ الحريص.

وقد وصفهم جل شأنه بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران] يقول ابنُ كثيرٍ رحمه الله تعالى: (يُعْلِمُ تبارك وتعالى نبيَّه ﷺ بعداوةِ هؤلاءِ له، لأنه مهما أصابه من حسنةٍ أي فَتحٍ ونصرٍ وظَفَرٍ على الأعداءِ مما يَسُرُّه ويَسُرُّ أصحابَه ساءَهم ذلك..)[2].

(١) مجلة الفكر ١/ ٧/ ١٩٢٨ نقلاً من كتاب «قضية تحرير المرأة».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٠٨).

ويقول تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة] يقول ابنُ كثيرٍ أيضاً عند تفسيرِ هذه الآية: قولُه تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ أي: حصناً يتحصنونَ به وحرزاً يتحرَّزون به..، ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ وهي التي في الجبال. ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وهو السِّربُ في الأرضِ والنَّفَقُ، قال ذلك في الثلاثة: ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وقتادةُ ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾، أي يُسرعون في ذهابِهم عنكم لأنهم إنما يخالطونكم كُرْهاً لا محبةً، وودوا أنهم لا يخالطونكم، ولكن للضرورةِ أحكامٌ، ولهذا لا يزالون في هَمٍّ وغَمٍّ لأنَّ الإسلامَ وأهلَه لا يزالُ في عزةٍ ونصرٍ ورفعةٍ، فلهذا كلما سُرَّ المسلمون ساءهم ذلك، فهم يَوَدونَ أن لا يخالطوا المؤمنين، ولهذا قال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة][1].

٤- الفرحُ بمصيبةِ المسلمينَ والحزنُ الشديدُ عند انتصارِهم مع الكيدِ للمسلمينَ:

قال جلَّ شأنهُ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران]. وهم مع ذلك يتربصون بالمسلمين، فإن كانت لهم الغَلَبَةُ قالوا إنا معكم، وإنْ كانت للكافرين قالوا ألم نكنْ معكم، وقد صَوَّرهم جل وعلا بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١٠).

﴿كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء].

قال مقاتلٌ: (كان المنافقون يتربصونَ بالمؤمنين الدوائرَ، فإنْ كانَ الفتحُ، قالوا: ألم نكن معكم -فَأَعْطُونا من الغنيمة.

وإنْ كان للكافرينَ نصيبٌ، أي: دولةٌ على المؤمنين، قالوا للكفار. ألم نستخوذْ عليكم- قال المُبَرِّدُ: ومعنى: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نَغْلبكم على رأيكم)[1].

٥- **الجبنُ والخَوَرُ عندَ مواجهةِ الأعداءِ:** فنجدُ هذه الطائفةَ المنافقةَ إذا حَمِيَ الوطيسُ، واشتعلَ لظى الحربِ ظهرت مَعادِنُهم الرديئةُ، فإذا هم جبناءُ يفرون من الموتِ، ويخشون ملاقاةَ العدوِّ، وما ذلك إلا لخلوِّ الإيمانِ في بواطِنهم، وتمسُّكِهم بِزُخرُفِ الحياةِ الدنيا (يتجلى ذلك الجبنُ الخالعُ في تخلُّفهم عن القتالِ، وتَلَمُّسِهم المعاذيرَ، حتى لا يكونوا معَ المؤمنين في شدائدِهم، وفي ذلكَ يقولُ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [النساء]. ومع أنهم جبناءُ لم يقفْ ضررُهم عندَ حَدِّ أنْ منعوا أنفسَهم عن القتالِ، بل يُعَوِّقونَ غيرَهم عنه، ويُخَذِّلونهم عن

(١) «زاد المسير» (٢/ ٢٢٩).

قيامِهم بالواجبِ، ودفاعِهم في سبيلِ الحقِّ، قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ [الأحزاب:١٨-١٩].

ويقول عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب]، ويقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر:١١-١٢].

٦- **التخذيلُ بينَ صفوفَ المؤمنينَ:** فالمنافقونَ لا يَفْتَؤون يحاولون صَدَّ المسلمينَ عن الجهادِ في سبيلِ الله، فهم مِعْوَلُ هدمٍ بين صفوفِهم، سواءٌ بمنعِ من استطاعوا من الجهادِ أو الإمساكِ عن النفقةِ فيه، أو القعودِ بأنفسهم، أو نشرِ الأراجيفِ التي تؤدي إلى إضعافِ الروحِ المعنويةِ في نفوسِ المؤمنينَ. يقولُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ

قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران]، ويقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٞ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب]، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب].

فخروجُ المنافقينَ من الصفِّ أمرٌ قديمٌ ومكشوفٌ، فقد خرجوا عن صفِّ الرسولِ ﷺ، وكشفوا ظهرَه للأعداءِ في عدةِ مواقفَ، وهم يخرجونَ من كُلِّ صفٍ في وقتنا الحاضرِ.

٧- **الشحُّ والبخلُ والإمساكُ عن النفقةِ:** وهم لا يكتفون بذلكَ بل يأمرونَ غيرَهم به، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾﴾ [النساء].

وإذا أنفقوا فما ذلك إلا رياءً للناسِ مجرداً عنِ الإخلاصِ والعياذُ بالله، قال جل شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء]، ويقول تعالى:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة]، وقد امتحنهمُ اللهُ وابتلاهم فخسروا الامتحانَ، ووقعوا في محنةِ البلاءِ، وغلب عليهم شُحُّهم ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة:٧٧] فصار هذا الشحُّ والبخلُ بالمالِ من صفاتِهم التي وسمهُمْ اللهُ بها في القرآن الكريم[1].

٨- **التحاكمُ إلى غيرِ شرعِ الله**: فهم لا يريدونَ الحكمَ بالكتابِ والسنةِ، وإنما يريدون حكمَ الطواغيتِ، وهذا ما يصدُرُ من منافقي زمانِنا فهم يقولون: (نريد أن نُحَكِّمَ القوانينَ الوضعيةَ، والإسلامُ لا يصلحُ لهذا العصرِ، فقد جاءَ منذ أربعةَ عشر قرناً فلا بدَّ منْ أحكامٍ تُسايرُ هذا العصرَ الذي نحنُ فيه)، ويقولون أيضاً: (لا نجعلُ الدينَ يتدخلُ في أمورِ السياسةِ والحكمِ والاجتماعِ والاقتصاد... فالدينُ علاقةٌ بين الفردِ وربِّه، لا صلةَ له بالمجتمعِ). وما تعانيه الأمةُ الإسلاميةُ الآن من ويلاتٍ وشرورٍ إلَّا بسبب كيدِ هذه الشرذمةِ، وانتشارِها في كُلِّ بلدٍ من بلادِ المسلمين.

يقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ

(١) «ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية» (ص١١٨).

ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾﴾ [النساء]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور].

٩- **اتخاذُ الكافرينَ وأعداءَ الله عموماً أولياءَ من دونِ المؤمنين:** وهم بهذهِ الصفةِ يُعتبرونَ وسيلةً من وسائلِ انتصارِ أعداءِ الله على المؤمنين؛ لأنهم باتخاذهِمْ هؤلاءِ الكفرةَ أولياءَ يُطْلعونهم على أسرارِ المسلمين، ومواطن ضعفهم، ومن يقرأُ التاريخَ يعلمُ علماً يقيناً أن المنافقين كانوا من أهمِّ أسبابِ ظَفَرِ أعداءِ الله علينا، كما حصلَ من سقوطِ الدولةِ العباسيةِ على يدِ التتارِ عام ٦٥٦هـ، وما يزالُ خطرُ المنافقينَ على دولةِ الإسلامِ إلى يومِنا هذا فنجدُ أن كثيراً من هؤلاءِ المنافقينَ قد اتخذوا الإسلامَ ستاراً لهم، يَدْعونَ له، وهم في الباطنِ يحاربونَه بكلِّ ما أُوتوا من قوة.

يقول جل وعلا: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء]، ويقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ

مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ [المائدة]، ويقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ [الحشر: ١١].

١٠- **وإذا قاموا إلى الصلاةِ قاموا متثاقلينَ كُسالى**: كأنما يساقونَ إلى الموتِ وهمْ ينظرون. أخزاهُمُ اللهُ وهم بذلكَ لا يريدونَ بصلاتهم ما عندَ الله، بل إنما يُراؤونَ الناسَ وليُشْهَدَ لهم بالصلاةِ ليكونوا في عِدادِ المؤمنينَ الصادقينَ، وما أبعدَهم عن ذلك!!

يقول تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ [النساء]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ [التوبة].

يقول فيهم ابنُ القيمِ رحمه الله: (يُؤَخرونَ الصلاةَ عن وقتها الأولِ إلى شروقِ الشمسِ، فالصبحُ عند طلوعِ الشمسِ، والعصرُ عند الغروبِ، وَيْنقُرونها نَقْرَ الغرابِ، إذ هي صلاةُ الأبدانَ لا صلاةَ القلوبِ. ويلتفتون فيها التفاتَ الثعلبِ، إذ يتيقَّنُ أنه مرطودٌ مطلوبٌ. ولا يشهدونَ الجماعةَ، بل إنْ صلى أحدُهم ففي البيتِ أو الدكانِ)[1].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٥٤).

وهم دائماً متخلفونَ عن صلاةِ العشاءِ وصلاةِ الفجر؛ لأنها في أوقاتِ راحةٍ ونومٍ، وهؤلاء المنافقونَ لا يأخذونَ منَ الدينِ إلا ما وافقَ أهواءَهم.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا** -أي: من الأجرِ- **لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[1].

وفي الحديث أيضاً: «**تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لاَ يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً**»[2].

وعن أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه قال: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا الصُّبْحَ فَقَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ**» قَالُوا: لاَ. قَالَ: «**أَشَاهِدٌ فُلاَنٌ**» قَالُوا: لاَ. قَالَ: «**إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْـمُنَافِقِينَ**»)[3].

١١- التذبذبُ: فهم ليسوا بمسلمين، وفي الوقتِ نفسِه ليسوا بكافرينَ مُعلنين لكفرِهم بل هم كالشاةِ الحائرةِ بين الغَنَمين، لا تدري أينَ تذهبُ!

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٢٠) من قوله: «لقد هممت...»، ورواه مسلم (٥٦١) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٢٢).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٥٥٤)، وابن حبان (٢٠٥٦)، والطيالسي (٥٥٦)، والطبراني في «الأوسط» (١٨٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٦٧)، [«صحيح الترغيب» (٤١١) (٤١٩)].

عن ابن عمرَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مَثَلُ الـمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً**»[1].

يقولُ الله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [النساء].

المذبذبُ: المترددُ بين أمرين، وأصلُ التذبذبِ: التحركُ، والاضطرابُ وهذه صفةُ المنافقِ، لأنه مُحَيَّرٌ في دينهِ، لا يرجعُ إلى اعتقادٍ صحيح.

قال قتادة: ليسوا بالمشركينَ والمصرِّحين بالشركِ، ولا بالمؤمنين الخالصين، قال ابن زيد: ومعنى (بين ذلك): بينَ الإسلامِ والكفرِ، لم يُظهروا الكفرَ فيكونوا إلى الكفارِ، ولم يُصَدِّقوا الإيمانَ، فيكونوا إلى المؤمنين. قال ابن عباسٍ: ومن يضللِ اللهُ (فلن تجد له سبيلاً إلى الهدى)[2].

١٢- ومن صفاتهمُ الذميمةِ اللّمزُ والهمزُ: يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة]. يقول تعالى: (ومنهم) أي ومن المنافقينَ من يَلمِزُكَ. أي يَعيبُ عليك (في) الصدقاتِ إذا فَرَّقْتها، ويتهمُك فيها، وهم المتهمونَ، وهم مع هذا لا ينكرونَ للدينِ وإنما ينكرونَ لحظِّ أنفسِهم ولهذا قال: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٨٤).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٢٣٢).

وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[1] ويقول جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة].

إن (المنافقينَ لا يسلَمُ أحدٌ منه عيبهِم ولَمزهم في جميع الأحوالِ، حتى ولا المتصدقونَ يسلمونَ منهم، إن جاءَ أحدٌ منهم بمالٍ جزيل قالوا: هذا مُراءٍ: وإن جاءَ بشيء يسيرٍ قالوا: إنَّ اللهَ لغنيٌّ عن صدقةِ هذا، كما روى البخاريُّ: عن أبي مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: لما نزلت أيةُ الصدقةِ كنا نحاملُ على ظهورِنا، فجاء رجلٌ فتصدقَ بشيءٍ كثيرٍ فقالوا مُراءٍ، وجاءَ رجل فتصدقَ بصاعٍ فقالوا إنَّ اللهَ لغنيٌّ عن صدقةِ هذا)[2].

١٣- **كثرةُ الحَلِفِ بالله تعالى كَذِباً وزوراً**: فالأَيمانُ هي وسيلتُهم الوحيدةُ للتخلصِ من المواقفِ المُحرجةِ التي يقعون فيها، فلا تجدُهم إلا حالفينَ بالله أنهم ما فعلوا ما نُسِب إليهم، وهذه صفةٌ ملازمةٌ لهم، اتخذوها سِتاراً وحجاباً لفضيحتِهم أمامَ الملأ، غيرَ أنَّ عالمَ السرِّ وأخفى قد فضحهم، وأظهرهم أمامَ المسلمين عُراةً مكشوفين، قال تعالى فاضحاً لهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [التوبة].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤١٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٩).

ويقول تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة:٧٤]، ويقول تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة]، ويقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [التوبة].

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المجادلة].

(فهم يفعلون الفِعْلَةَ، ويُطلقون القَوْلَة. فإذا عرفوا أنها بلغت رسولَ الله ﷺ جَبُنوا وتخاذلوا وراحوا يُقْسمون بالأَيمانِ يتخذونها جُنَّةً. فإذا قال لهم قائلٌ: تعالَوا يستغفرْ لكمْ رسولُ الله، وهم في أمنٍ من مواجهتِهِ لوَّوا رؤوسَهم ترفعاً واستكباراً! وهذه وتلكَ سِمتان متلازمتان في النفسِ المنافقة. وإن كانَ هذا التصرفُ يجيء عادةً ممن لهم مركزٌ في قومِهم ومقامٌ.

ولكنهم همْ في ذواتِ أنفسِهم أضعفُ من المواجهةِ! فهم يستكبرونَ ويصدونَ وَيلْوون رؤوسَهم ما داموا في أمانٍ منَ المواجهةِ حتى إذا وُوجِهوا كان الجبنُ والتخاذلُ والأَيمانُ!..).

ويقول تعالى: مبيناً أنهم اتخذوا من هذهِ الأَيمانَ جُنّةً ووقايةً. ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [المنافقون]، وسبب إكثارِهم منَ الأَيمانِ أنهم لا يثقون بأنفسِهم، ولا يعتقدونَ أنهم صادقون، والشأنُ فيمن فقدَ الثقةَ في نفسِه أن يشعرَ بفقدِ الناسِ فيه، فيجدُ نفسَه في حاجةٍ إلى أَيمانٍ عَلَّه يُعوضُ شيئاً من هذه الثقة..)[1].

١٤- الاستهزاءُ والسخريةُ بالدينِ الإسلامي: يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

(عن عبدِ الله بنِ عمرَ قال: قالَ رجلٌ في غزوةِ تبوكٍ في مجلس: ما رأيتُ مثلَ قُرائنا هؤلاءِ أرغبَ بطونا، ولا أكذبَ لساناً ولا أجبنَ عندَ اللقاءِ. فقالَ رجلٌ في المسجدِ: كذبتَ، ولكنك منافقٌ لَأُخبرَنَّ رسولَ الله ﷺ، فبلغَ ذلكَ رسولَ الله ﷺ ونزلَ القرآنُ، فقال عبدُ الله بنُ عمرٍو: أنا رأيتُه متعلقاً بحقبِ ناقةِ رسولِ الله ﷺ تَنْكُبُه الحجارةُ وهو يقولُ: يا رسولَ الله! إنما كنا نخوضُ ونلعبُ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

---

(١) «دعوة الرسل» (ص٤٦٣).

١٥- الأمرُ بالمنكرِ والنهيُ عن المعروفِ: قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [التوبة].

(ألا ترى إلى شبابنا اليومَ يُحَسِّنُون الخمرَ للناس، ويقولون لهم إنها تفيدُ الصحةَ، وتُحدِثُ عند شارِبها تفريجاً ونشوةً، وتباعدُ بينه وبين الأحزانِ، وهي شرابُ عِليةِ القومِ وأصحابِ المكانةِ من الأمةِ، ويحملون إخوانَهم بمختلَفِ الأساليبِ على غِشيانِ أماكِنِ الشربِ، وبيوتِ القمارِ، والزنا باسم أنَّ ذلكَ مدنيةٌ ورقيٌّ، والمقتصدُ منهم في ذلك التهتكِ يقول لصاحبه نشربُ ونتوبُ إلى الله تعالى بعدُ.

وإذا رأوا شاباً يذهبُ إلى مسجدٍ من المساجدِ أو نادٍ من أنديةِ الوعظِ والإرشادِ منعوه عن ذلك العملِ، وحالوا بينه وبينه مرةً من ناحيةِ أنَّ هذه أعمالٌ (رجعية) لا تليقُ بالمثقفين، مرة من جهة أنه يُجهدُ نفسَه ويكلفُ نفسَه أعمالاً شاقةً وهو شابٌّ في مُقْتَبَلِ حياته، والأولى بمثلِ هذهِ الأعمالِ الشيوخُ دونَ الشبان)[1].

١٦- كراهيةُ الجهادِ في سبيلِ الله فهم يريدون الدَّعَةَ والراحةَ: قال تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة].

(١) «دعوة الرسل» (ص٤٦٧-٤٦٨).

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [التوبة].

ولهذا من لم يغزُ ولم يُحَدِّثْ نفسَه بالجهادِ مات على شعبةٍ من النفاقِ كما في الحديث. عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ** »[1].

١٧ - المجادلَة بغيرِ علمٍ: يقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ﴾ [الحج].

عَنْ عُمَرَ بن الخطابِ أَنَّهُ قَالَ لِزِيَادِ بن جديرٍ: (هَلْ تَدْرِي مَا يَهْدِمُ الإِسْلاَمَ؟ زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ)[2].

١٨ - إن أنعمَ اللهُ عليهم سُرُّوا بذلك وإن حصلت لهم نقمةٌ انقلبوا على وجوهِهم:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج]، ويقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٩١٠).

(٢) رواه الدارمي (٦٧٥)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٧٥)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٧٢).

بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت].

١٩- **إشاعةُ الفاحشةِ في الذين آمنوا وقذفُ المحصناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ**: وما موقفُ عبدِ الله بن أُبيٍّ بنِ سلولٍ في قذفِ الطاهرةِ المطَهَّرَةِ أُمِّنا عائشةَ رضي الله عنها إلا صورةٌ منْ هذا الخلُق الفاحشِ الذي اتصفت به هذه الطائفةُ، وما نراه اليومَ من نشرِ الدعارةِ والفاحشةِ وظهورِ النساءِ الفاتناتِ إلا وسيلةً من وسائلِ المنافقينَ لإشاعةِ الفاحشةِ في الذين آمنوا.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور].

٢٠- **التسللُ من صفوفِ المسلمينَ والهربُ بخفية**: فهم جبناءُ خونةٌ وقد وصفهم جل وعلا بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

٢١- **لينُ الكلامِ**: فألفاظهُم مُنَمَّقَةٌ يخدعونَ بها السُّذَّجَ من الناسِ وعباراتُهم معسولةٌ يتسللون بها إلى القلوبِ ليصدوها عن عَلَّامِ الغيوبِ (يعجبك قولُه ويسوءُك عملُه، قولُه قولُ الصالحين وعملُه عملُ الجبابرةِ إذا تكلمت معه في الإصلاحِ والمصلحين والإفسادِ والمفسدين أفاضَ معك في القولِ، وأراك أن

قلبَه يتفطرُ حسرةً لذلك الفسادِ، الذي نراه كلَّ يومٍ، وأنه يتمنى أن لو صلَحَ أمرُ الناس، وقد يصف لكَ طريقَ الخلاصِ من ذلك الفسادِ كطبيبٍ ماهرٍ وعالم خبيرٍ وإذا وُلِّيَ عملاً من أعمالِ المسلمينَ رأيته شيطاناً من الشياطين، رأيت ظلمَ العبادِ والبلادِ، وعاث في الأرض الفساد)[1].

يقول جل شأنه في وصفهم: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد].

ويقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفتح].

ويتميزونَ بضخامةِ أبدانهم التي ما هي في الحقيقة إلا خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

(وصفهم الله بحسنِ الصورةِ، وإبانةِ المنطقِ، ثم أعْلَمَ أنهم في تركِ التفهمِ والاستبصارِ بمنزلة الخُشُبِ المسندة: المائلةِ إلى الجدارِ. والمراد: أنها ليست بأشجارٍ تثمرُ وتنفعُ، بل خُشُبٌ مسندةٌ إلى حائط.

---

(١) «دعوة الرسل» (ص٤٥٨).

ثم عابهم بالجبنِ فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون] أي: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أُتوا لما في قلوبهم من الرعبِ أن يكشفَ اللهُ أسرارَهم وهذه مبالغةٌ في الجبنِ)[1].

عن عثمانَ النهديِّ قال: كنت عندَ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه فسمعته يقول في خطبته: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»[2].

٢٢- سوءُ الظن: صفةٌ قبيحةٌ من صفاتِهم فهم يظنونَ باللهِ ظنَّ السوءِ، وكذلك يظنون بالمؤمنين، وهم أيضاً يائسونَ من رحمةَ الله تعالى. قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٤].

ويقول تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح]، ويقول تعالى في وصفهم أيضاً: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن

---

(١) «زاد المسير» (٨/ ٢٧٥).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٢٢)، والبزار (٣٠٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٤١) عن عمر بن الخطاب، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٣٧/ رقم٥٩٣)، والبزار (٣٥١٤) عن عمران بن حصين، [«صحيح الترغيب» (١٣٢، ١٣٣)].

لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح].

٢٣- **التناجي بالإثمِ والعدوانِ ومعصيةِ الرسولِ**: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [المجادلة].

٢٤- **قِلَّةُ ذكرِ الله تعالى**: وهذه سمةٌ بارزةٌ من سماتِ المنافقينَ إذ همْ يذكرونَ اللهَ إلا قليلاً، وذلك لِما في قلوبهم من مرض غطى عنها نورَ الحقِّ والإيمانِ فهي تُبغضُ ذكرَ الله تعالى.

وقد وصفَ اللهُ قلوبَهم وقلوبَ الكافرين في القرآن الكريم بعشرين صفة هي:

١ - **الخَتمُ**: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة].

٢ - **الطبعُ**: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون].

٣- **الضيقُ**: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام:١٢٥].

٤ - **المرضُ**: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ [البقرة:١٠].

٥- الرَّيْنُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين].

٦- الكِبرُ: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر:٥٦].

٧- القساوةُ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٢٢].

٨- الانصرافُ: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة].

٩- حميةُ الجاهليةِ: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:٢٦].

١٠- الإنكارُ: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل].

١١- الغفلةُ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

١٢- العَمَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

١٣- الاشمئزازُ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزُّمَر:٤٥].

١٤- الزَّيْغ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف].

١٥ -الرَّيْب: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

١٦ - النفاقُ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة:٧٧].

١٧ - الغمرةُ: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ [المؤمنون:٦٣].

١٨ - اللهوُ: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء].

١٩ - الأَكِنَّة: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام:٢٥].

٢٠ - الإثمُ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٣][1].

يقول جلَّ ذكرُه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة]. وأما وصفُ الله تعالى لهم بأنهم لا يذكرونَ اللهَ إلا قليلاً، فهذا لأنهم يذكرونه جل وعلا جهرةً مع الناسِ، أما في خَلوتهم فلا يذكرونه لأنَّ قلوبَهم خاليةٌ من الإيمان.

٢٥ - الاستكبار والتعالي عن الحق: ليكسبوا لأنفسهم مقاما زائفاً في أعين الناس:

يقول عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة] وواضحٌ أنهم كانوا يأنفون

(١) انظر: «سلسلة من مفردات القرآن الكريم» (ص١٠٩).

من هذا الاستسلامِ للرسولِ ﷺ ويرونه خاصاً بفقراءِ الناسِ غيرَ لائقٍ بالعِلْيةِ ذوي المقامِ! ومن ثَمَّ قالوا قولتَهم هذه: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ومن ثَمَّ جاءهم الردُّ الحاسمُ والتقريرُ الجازم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

ويقول تعالى واصفاً لهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون].

٢٦- الكذب: فهم كذبوا على الله تعالى أولاً، ثم على رسوله ثانياً، ثم على أوليائِه الصالحين وعلى عبادِ الله عموماً، وقد وصفهم جل وعلا بالكذب، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون].

وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال: « **آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[١].

وفي رواية عن عبدِ الله بن عمرٍو قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[٢].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨).

٢٧- الرياءُ وطلبُ الثناءِ والشهرةِ بينَ الناس.

٢٨- خيانةُ الأمانة: عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[1].

وعن أبي إمامةَ الباهليِّ قال: المنافقُ إذا حدث كذبَ وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان وإذا غنم غَلَّ وإذا أُمِرَ عصى، وإذا لقي جَبُنَ، فمن كنَّ فيه ففيه النفاقُ كُلّهُ، ومن كانَ فيه بعضُهنْ ففيه بعضُ النفاق[2].

٢٩- خُلفُ الوعدِ: فلا تجدُ المنافقَ إلا مُخلفاً للوعد، ناكثاً له، عن عبدِ الله بن عمرٍو قال: قالَ رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[3].

(فهم لا يَرْعَوْن عهدَهم مع الله سبحانه، ويَمضون كأنهم ما عاهدوه، ولا ألزموا أنفسَهم تجاهَه شيئاً لشكر ما أتاهم من فضله، وما أسبغَ عليهم من نِعَمِه، وذلك في حقيقته مظهرٌ لجهلِهم وغفلتِهم وسوءِ إدراكهم)[4].

والإخلافُ في الوعدِ تمثلَ هذا الزمانِ في المنافقين من (دعاة الاستعمارِ، فتراهم يَعدونَ، ويُخلفونَ، ويعاهدونَ ويغدرون، وقد تَعُدُّ لهم العشراتِ من

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) «صفة النفاق وذم المنافقين» للفريابي (ص٢٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨).

(٤) «ظاهرة النفاق» (ص٩٤).

الوعودِ ثم لا تكادُ ترى لهم شيئاً من الوفاءِ؛ لأنَّ المرجعَ عندهم مصلحتُهمُ الذاتيةُ وأغراضُهُمُ الاستعماريةُ، ولا سيما مع الشعوبِ الضعيفةِ التي لا تستطيعُ أن تحاسبَهم على ذلك الغدرِ..)[1].

٣٠- الفجورُ في الخصومة: كما في الحديث: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[2].

٣١- الغُلول من الغنيمةِ:

٣٣- خذلانُهم لمن يواليهم: وذلك لأنهم يريدون مصلحتَهم على حسابِ الآخرين، فهم تَبعْ لها، فأنَّى وجدوها فلا يهمُّهم هزيمةُ من حولَهم (فهم يديرون القلاعَ لكل ريحٍ) [3] ومما يُبرزُ لنا هذا الخلقَ الذميمَ فيهم موقفُهم من يهودِ بني النضيرِ عندما نقضوا العهدَ مع النبيِّ ﷺ، وبعثُ رسولُ الله ﷺ أنْ أُخرجوا من المدينةِ، لا تساكنوني به، وقد أَحلْتكُم عشراً فمن وجدْتُ بعد ذلك بها ضَربْتُ عنقَهُ، فأقاموا أياماً يتجهزون، وأرسلَ إليهم المنافقُ عبدُ الله بن أبي: أن لا تخرُجوا من ديارِكم فإنَّ معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، يموتون دونكم، وتنصرُكم قريظةُ وحلفاؤُكم من غطفان، وطمعَ رئيسُهم

---

(١) «دعوة الرسل» (ص٤٦٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٨).

(٣) انظر «دعوة الرسل» (ص١٥٩).

حييٌّ بنُ أخطبَ فيما قاله له، وبعثَ إلى رسولِ الله ﷺ يقولُ: إنا لا نخرجُ من ديارِنا، فاصنع ما بدا لك، فكبرَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ونهضوا إليه، وعليٌّ ابنُ أبي طالبٍ يحملُ اللواءَ، فلما انتهى إليهم، قاموا أعلى حصونِهم يرمون بالنَّبلِ، والحجارةِ واعتزلتهم قريظةُ، وخانهم ابنُ أُبي وحلفاؤُهم من غطفان، فحاصرهم رسولُ الله ﷺ وقطع نخلَهم وحرَّق، فأرسلوا إليه: نحن نخرجُ عن المدينةِ، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم، وأنَّ لهم ما حملت الإبلُ إلَّا السلاحَ، وقَبَضَ النبيُّ ﷺ الأموالَ والحلقةَ وهي السلاحُ...) [1].

٣٣- تحيتهم لعنةٌ: فعندما يتقابلون يلعنُ بعضُهم بعضاً، فاللعنُ جارٍ على ألسنتهم مجرى التحيةِ، والعِياذُ باللهِ، وكم نجدُ أمثالَ هؤلاء بيننا ممن يتقابلونَ فيلعنُ بعضُهم بعضاً.

فليحذرِ المسلمُ من صفاتِ هذه الشرذمةِ الحقيرةِ، وليتعاهدْ نفسَه لئلا يكونَ قد غرق في أوحالِهم وهو لا يدري.

عن وهبِ بن منبهٍ قال: صفةُ المنافق: تحيتُه لعنةً، وطَعامُه سُحَتٌ، وغنيمته غُلولٌ، صُخُبٌ بالنهار، خُشُبٌ بالليل.. [2].

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٢٨).

(٢) «صفة النفاق وذم المنافقين» (ص٩٩).

٣٤- **الاستخفافُ بالأئمةِ وطلابِ العلم**: وهذا ما نسمعه ونراه من منافقي هذا العصر أخزاهم الله.

٣٥- **بغضُ الأنصارِ**: عن أنسِ بنِ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[1]، وهذا عامٌّ في كلِّ من يبغضُ من ينصرُ دينَ الله وينافحُ عنه.

٣٦- **الضلالُ والحيرةُ**: وقد ضربَ الله تعالى المثَلَ في ضلالهم وحيرتِهم بقول عز من قائل: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾**﴾ [البقرة].

٣٧- **إيذاءُ الرسولِ ﷺ وصحابتِه ثم المسلمونَ من بعده وإلى قيامِ الساعة**: يروي ابنُ هشامٍ في السيرةِ أنَّ رسولَ الله ﷺ خلَّف رسولُ الله عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه على أهلِهِ وأمرهُ بالإقامةِ فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذَ عليُّ بنُ أبي طالب سلاحَه ثم خرج حتى أتى رسولَ الله وهو نازلٌ بالجرف، فقال: يا رسول الله! زعم المنافقون أنك إنما خلفتني تستثقلني ونخفف مني، فقال رسول الله: «**كذبوا ولكني خَلَّفتُك لما تركْتُ ورائي، فارجع فاخلُفني في أهلي**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

وأهلِك، ألا ترضى يا عليُّ أن تكون مني بمنزلة هارونَ من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي» فرجع إلى المدينةِ ومضى رسولُ اللهِ لسفره[1].

٣٨- **الطعنُ في دعاة الإسلام المخلصينَ وتشويهُ سمعتِهم عن طريقِ الكذبِ وتغيير الحقائقِ**[2]: وما نسمعُه هذه الأيامَ مما يثارُ حولَ دعاةِ الإسلامِ كشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَة وتلميذِه ابنِ القيم وأيضاً ما يُثارُ حولَ الإمامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهاب وتسميةِ أتباعِه بالوهابيين ما هي إلا مخططاتُ المنافقينَ لزعزعةِ الثقةِ بنفوسِ المسلمينَ في هؤلاء الأئمةِ الأعلامِ وغيرِهم.

٣٩- **اتحادُهم في الباطل مع ترفقِّهم وتخالِهم**: (فترى أن اللهَ جعلَ من صفاتِ المؤمنين أن ينصرَ بعضُهم بعضاً، أما المنافقون فقد فقدوا تلكَ الصلةَ القلبيةَ التي بها يتناصرون، فهم متباغضون متخاذلون وجديرٌ بمن كان همُّهم مصالحَهم الذاتيةَ أن يكونوا على ذلك الحال من التفرقِ والتخاذل..) [3].

٤٠- **الغدرُ**: والغدرُ من الصفاتِ الظاهرةِ عليهم سواءٌ في تعاملِهم معَ رسول الله ﷺ أو الصحابة، وإلى قيامِ الساعة.

هذا ما ظهرَ لي من صفاتهم الرذيلة مما تتبعتُه من كتابِ الله تعالى وسنةِ المصطفى ﷺ وآثارِ السلف.

---

(١) ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ١٩٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٢٠).

(٢) «المنافقون في القرآن الكريم» (ص٤٤١).

(٣) «دعوة الرسل» (ص٤٦٦).

فيا تُرى كيف يعامَلُ المنافقون؟ هل يعامَلون معاملةَ المسلمين؟ أم معاملةَ الكافرين؟ أم هناكَ معاملةٌ تَخصُّهم وحدَهم وتختصُّ بهذه الشرذمةِ الحقيرة؟

هذا ما سيأتي بيانه في المسألة القادم إن شاءَ الله تعالى.

المسألة الثانية: حُكم المنافق في الإسلام:

المنافقُ لا يخلو من حالتين:

الأولى: منافقٌ معلومُ النفاق.

الثانية: منافقٌ غيرُ مُظْهِرٍ لنفاقِهِ.

فالأولُ: إذا ظهرَ منه ما يدلُّ على الكفرِ كان مرتداً تُطَبَّقُ عليه أحكامُ المرتدين، لقوله ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ؛ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ**»[1].

وهذا يقتضي أنهم يُجاهَدون بالسلاحِ إذا أظهروا النفاقَ وهو اختيارُ ابن جرير. وقال ابن مسعود في قوله (جاهِدِ الكفارَ والمنافقين) قال: بيده، فإن لم يستطع فَلْيَكْفَهِرَّ في وجهه. وقال ابن عباس: أمرَه اللهُ تعالى بجهادِ الكفارِ بالسيفِ والمنافقين باللسانِ وأذهبَ الرفق عنهم.

وقال الضحاك: جاهِدِ الكفارَ بالسيف واغْلُظْ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدَتُهم، وعن مقاتل والربيع مثلُه.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم(١٦٧٦).

وقال الحسنُ وقتادةُ ومجاهدٌ: (ومجاهدَتهم إقامةُ الحدودِ عليهم..)[1].

ولكن قد يقول قائل: ما الحكمةُ إذن في عدم قتلِ النبيِّ ﷺ للمنافقين في عصرِه مع إظهارهم الكفر؟!

سُئِلَ القرطبي وغيرُه منَ المفسرين: عن حكمةِ كَفِّه عليه الصلاةُ والسلام عن قتلِ المنافقين مع علمه بأعيانِ بعضِهم، وذكروا أجوبةً عن ذلك، منها:

ما ثبتَ في الصحيحين أنه ﷺ قال لعمرَ رضي الله عنه: «**دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[2].

ومعنى هذا: خشيةَ أن يقعَ بسببِ ذلك تغيرٌ لكثيرٍ منَ الأعرابِ عن الدخولِ في الإسلامِ ولا يعلمون حكمةَ قتلِه لهم..

قال القرطبي: وهذا قولُ علمائِنا وغيرِهم كما كان يعطي المؤلَّفةَ قلوبُهم مع علمه بسوءِ اعتقادهم.

ومنها: ما قاله مالكٌ إنما كفَّ رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبينَ لأمته أن الحاكمَ لا يحكُمُ بعلمه..

ومنها: ما قاله بعضهم إنه إنما لم يقتلْهم لأنه كان لا يخاف من شرِّهم مع وجودِه ﷺ بين أظهرِهم يتلو عليهم آياتِ الله مُبَيِّناتٍ فأما بعده فَيُقْتَلون إذا أظهروا النفاقَ وعَلِمَه المسلمون[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٩٨٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٨٥-٨٦).

ومنها أن المنافقين في عهدِ النبي ﷺ كانوا يعتذرون عما يصدرُ منهم مما يتبينُ به كفرُهم ويظهرون التوبةَ[1].

ومنها أيضاً أن ذلك نُسخ بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم] فلم يقتلْهم المصطفى ﷺ ثم أمر بقتالهم كما في الآية.

ولعل أقوى ما يترجحُ من هذه الأقوالِ والله أعلمُ بالصوابِ الأول: وهو تركُه ﷺ لقتلهم خشيةَ أن يتحدثَ العربُ أن محمداً يقتلُ أصحابَه، كما ثبتَ في الصحيحين لكي لا يكونَ ذلك صاداً لهم عن الدخولِ في الإسلام فتعظُمُ المفسدةُ.

وهنا تُثار مسألة:

إذا أظهرَ المنافقُ التوبةَ هل تُقبلُ توبتُه؟

اختلَفَ العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها تُقبلُ توبتُه وهو رأيُ الجمهورِ واستدلوا:

بفعلِ النبيِّ ﷺ حيثُ قبل توبةَ المنافقينَ وَوَكَلَ أمرَهم إلى الله. قال الحافظ ابن حجر: ويُستفادُ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

(١) «المنافقون في القرآن الكريم» (ص٤٥١).

﴿١٤٦﴾ [النساء]، صحةُ توبةِ الزنديقِ وقبولُها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناةٌ من المنافقين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء].

الثاني: أنها لا تقبلُ توبتُه لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

(والزنديقُ لا تظهرُ منه علامةٌ تبينُ رجوعَه وتوبتَه لأنه كان مُظهراً الإسلامَ قبلَ ذلك فإذا أظهرَ التوبةَ لم يزدْ على ما كان منه قبلها من إظهار الإسلام) [1].

يقول القرطبي: (ومن شرطِ التائبِ من النفاقِ أن يَصْلُحَ في قولِهِ وفعلِه ويجعلَ اللهَ ملجأً ومعَاذاً كما نصت عليه هذه الآية، وإلا فليس بتائب) [2].

وردُّوا على أصحاب القول الأول: بأنَّ هذا كان في أول الأمر، وبعد هذا أنزلَ اللهُ فعلموا أنهم إن أظهروا كما كانوا يظهرونه قُتلوا، فكتموه.

والزنديق: (هو المنافقُ، وإنما يقتلُه من يقتلُه إذا ظهرَ منه أنه يكتمُ النفاقَ قالوا: ولا تُعلَمُ توبتُه، لأن غايةَ ما عندَه أنه يُظهر ما كان يُظهر، وقد كان يظهرُ الإيمانَ وهو منافقٌ، ولو قُبلتْ توبةُ الزنادقة لم يكن سبيلٌ إلى تقتيلهم، والقرآنُ قد توعدهم بالتقتيل) [3].

(١) «الإيمان» لابن تيمية (ص٢٠٢-٢٠٣).

(٢) «أحكام القرآن» (٥/ ٤٢٦).

(٣) «الإيمان» لابن تيمية (ص٢٠٢-٢٠٣).

والثالث: تقبلُ توبتُه إذا أظهرها قبل ظهورِ أمرِه ولا تُقبل بعد ذلك.

أما الثاني: وهو من لم يُظْهِرْ نفاقَه: (فقد اتفقَ العلماءُ على أن اسمَ المسلمين يجري على المنافقين، لأنهم استسلموا ظاهراً، وأتوا بما أَتوا به من الأعمالِ الظاهرةِ)[1].

ولهذا فهم يُعامَلون معاملةَ المسلمين وإن كانوا في الدَّركِ الأسفلِ من النار يومَ القيامة.

وجاء في صحيح البخاري عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: (إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ)[2].

وأيضاً: (يصلى عليهم إذا ماتوا، ويُدفنون في مقابرِ المسلمين من عهدِ النبيِّ ﷺ، والمقبرةُ التي كانت للمسلمين في حياتِه وحياةِ خلفائِه وأصحابِه يُدفَنُ فيها كُلُّ من أظهرَ الإيمان وإن كان منافقاً في الباطن..)[3].

وقد قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»[4].

---

(١) «الإيمان» لابن تيمية (ص٢٠٢-٢٠٣).

(٢)**صحيح**: رواه البخاري (٢٦٤١).

(٣) «الإيمان» لابن تيمية (ص٢٠٢-٢٠٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

وقال لأسامةَ بن زيدٍ: «**أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟!**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ. قَالَ: «**أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ**» فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّى أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ[(١)]

وفي البخاري قال: «**يَا أُسَامَةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله**» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ[(٢)].

أما من عُلِمَ نفاقُه فلا يُصلَّى عليه، ولا يستغفرُ له، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لَـمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ الله بن أُبي بنِ سلول جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ الله إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! تُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة:٨٠] **وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ**» قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة][(٣)].

زاد مسلمٌ في رواية أخرى: (فتركَ الصلاةَ عليهم)، فأمرُ اللهُ تعالى رسولَه ﷺ أن يَبْرَأَ من المنافقين، وأن لا يصليَ على أحدٍ منهم إذا مات، وأن لا يقومَ على

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٦).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٧٧٤).

قبره ليستغفرَ له أو يدعوَ له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه، هذا حكمٌ عامٌّ في كُلِّ من عُرِفَ نفاقُه، وإن كان سببُ نزولِ الآيةِ في عبد الله بن أُبي ابنِ سلولٍ رأسِ المنافقين)[1].

(وكان عمرُ إذا ماتَ ميتٌ لم يصلِّ عليه حتى يُصَلِّي عليه حذيفة، كان قد عَلِمَ أعيانَهم)[2].

المسألة الثالثة: خوفُ السلفِ الكرامِ من النفاقِ والمنافقين.

لقد كان السلفُ الكرامُ يخشون النفاقَ على أنفسهم ولم يكونوا كحالنا آمنين، إذ لا يخشى أحدُنا النفاقَ في الوقت الذي ربما يكون قد انغمسَ في أوحالِه، وصَعُبَ عليه الخروجُ منه وإلى الله المشتكى. لقد قَطَّع خوفُ النفاقِ قلوبَ السابقين الأولين.

لعلمهم بِدِقِّهِ وجِلِّه وتفاصيلِهِ وجُمَلِه، ساءت ظنونُهم بنفوسِهم حتى خَشُوا أن يكونوا من جملةِ المنافقين. قال عمرُ بنُ الخطابِ لحذيفة رضي الله عنهما: يا حذيفةُ نشدتُكَ بالله، هل سماني لك رسولُ الله ﷺ منهم قال: لا ولا أُزَكي بعدك أحداً.

وقال ابن أبي مليكة: (أدركتُ ثلاثينَ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ كُلُّهم يخافُ النفاقَ على نفسِه، ما منهم أحدٌ يقول: إن إيمانَه كإيمانِ جبريلَ وميكائيلَ)[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٣٦).

(٢) «الإيمان» لابن تيمية (٢٠٢).

(٣) «مدارج السالكين» (١/ ٣٥٨).

وعن الحسن: كان يقول: (إن القومَ لما رأوا هذا النفاقَ يقول في الإيمان لم يكنْ لهم همٌّ غيرَ النفاق)[1].

وعن محمد بن سليم وهو أبو هلال قالَ: (سألتُ أَبَّانَ الحسنَ فقال: هل تخافُ النفاقَ؟ قال: وما يُؤَمِّنُني وقد خاف عمرُ رضي الله عنه)[2].

وقال الحسنُ البصريُّ: (النفاقُ نفاقان: نفاقُ الكذبِ، ونفاقُ العملِ؛ فأما نفاقُ الكذبِ فكان على عهدِ رسولِ الله ﷺ، وأما نفاقُ العملِ فلا ينقطعُ إلى يوم القيامة)[3].

ورُوي عن معاويَة بن قُرّة قوله: (أن لا يكون فيَّ نفاقٌ أَحَبُّ إلي من الدنيا وما فيها. كان عمرُ رضي الله عنه يخشاه، وآمنُه أنا؟)[4].

وروى الأوزاعي قال: سمعت بلالَ بنَ سعدٍ يقولُ: (لا تكن ولياً لله في العلانية، وعدوَّه في السِّر)[5].

ورُوي عن الحسن أنه حلفَ: (ما مضى مؤمنٌ قطُّ ولا بقي إلا وهو من النفاقِ غيرُ آمن، وما مضى منافقٌ قطُّ ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن. وكان يقولاً: من لم يخفِ النفاقَ فهو منافق)[6].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٣٦).

(٣) «أحكام القرآن» (٨/ ٢١٤).

(٤) «صفة النفاق» (ص١٢٠).

(٥) «صفة النفاق» (ص١٢٠).

(٦) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص٤٣٣).

وقد ورد أيضاً في صحيح مسلم عن حنظلةَ الأسديِّ أنه مر به أبو بكرٍ رضي الله عنهما وهو يبكي، فقال: (كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْـمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**»[1].

وهذا مما يدلُّ على شدةِ خوفِهم من النفاقِ رضي الله عنهم إلى درجة أن ظنوا أن الاسترسالَ في أمورِ دنياهم من النفاقِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٥٠).

الفهرس

الموضوع | الصفحة

كتبٌ صدرت للمؤلف:

١ – العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون	٤ مجلدات
٢ – أحسن البيان	مجلد واحد
٣– الدعاء النافع	مجلد واحد
٤ – سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام	مجلد واحد
٥ – الصحابة رضي الله عنهم	مجلد واحد
٦– تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام	مجلد واحد
٧– حياة السعداء	مجلد واحد
٨– الفرقان من قصص القرآن	مجلد واحد
٩– البيان من قصص القرآن	مجلد واحد
١٠ – البرهان من قصص القرآن	مجلد واحد
١١ – ثمرات السيرة النبوية	مجلد واحد
١٢ – البشارات النبوية	مجلد واحد
١٣ – المبشرون بالجنة	مجلد واحد
١٤ – السبيل في فقه الدعوة	مجلدان
١٥ – وسائل الثبات عل الدين	مجلد واحد
١٦ – محبة علي بن أبي طالب بين الغلو والجفاء	غلاف